مجلة الإسلام والتصوف

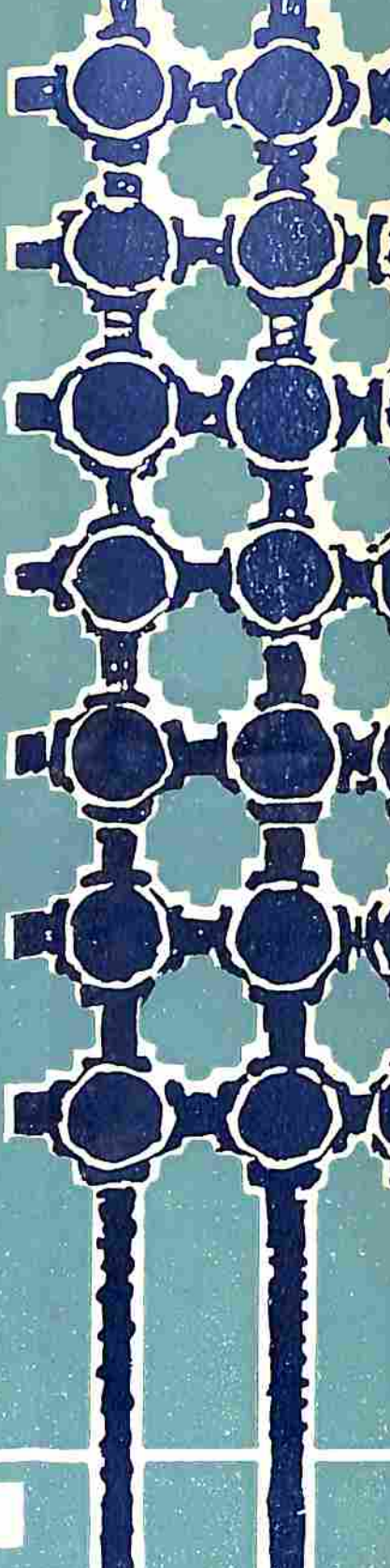

السنة الرابعة العدد الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا

تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

الاشتراك
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد الثاني « السنة الرابعة » ١٨ من محرم عام ١٣٨١ هـ — ١ يوليه ١٩٦١ م

يجب أن نوفر للذاهبين إلى بيت الله

عناية أكبر، ورعاية أتم

لسماحة الأستاذ السيد محمد محمود علوان

مع الشمس في تنقلاتها ومسراها، في مصبح اليوم وضحاه، وعصره وعشاه، مع كل صلاة لله، يتجه المسلمون بوجوههم وقلوبهم، إلى قبلتهم وكعبتهم المقدسة، في إجلال وخشوع وخضوع، يقيمون الصلة الخالدة بربهم، ويلتمسون العون والإمداد الدائم من مولاهم، : إياك نعبد، وإياك نستعين، إهدنا الصراط المستقيم.

فصلة المسلم بربه في اسمى صورها، وأزكى ألوانها، ترتبط بالكعبة دائما، وتتجه إليها أبداً.

وفى كل عام يهرع مئات الألوف من سائر أنحاء العالم الإسلامى إلى الأرض المقدسة ، ليؤدوا الفريضة الخامسة ، وليشهدوا البقاع الطاهرة ، التى حلقت فيها أجنحة الملائكة . وأشرق منها فجر الإسلام والايمان ، وعلى أديمها الزكى الحبيب ، كان خطو سيد الأنبياء وخاتم المرسلين ، الذى جعله فاطر السموات والأرضين ، رحمته المزجاة إلى عباده ، ونوره المرشد للمصطفين من خلقه .

وما أحسب أن فريضة فى الإسلام ، تهفوا إليها قلوب المسلمين ، وتتعلق بها أفئدتهم ، كما تهفوا وتتعلق بفريضة الحج .

إنها رحلة إلى الله ، تصاحبها الذكريات ، وتلازمها الأشواق ، ويحف بها النسك والطهر . ويحلق فيها الروح حول مناسك ومشاعر ، عليها يد الله سبحانه ، وفيها أسراره وأنواره وغفرانه .

وزيارة للحبيب المصطفى ، تدفىء القلب ، وتثير الوجد ، وتطلق الخيال ليسبح فى نشوة عريضة ، حول الحجرة المضيئة ، التى سمت وشرفت وحظت بصاحب الرسالة والشفاعة ، صلوات الله وسلامه عليه .

ولا أحب أن أنطلق مع عاطفتى وحسى ، لأصور الحنين الثائر فى قلب كل مسلم لكعبته ونبيه ، والشوق الغالب الذى يصاحب هذه الفريضة المقدسة .

لقد أذن الخليل إبراهيم بالحج ، فلبيته الأرواح المختارة ، ودعا أبو الأنبياء ، فأجاب الله الدعاء ، ربنا واجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، فكان هذا الدعاء هو إرادة الله التى تهز مشاعر المؤمنين . وتثير وجدهم وحنينهم ليهرعوا إلى بيت الله ما إستطاعوا إلى ذلك سبيلا .

ومع خطو الحضارة ، وسرعة المواصلات العالمية ، وتحرر الشعوب الإسلامية ، يتضاعف عدد الحجيج وتتصاعد الأرقام حتى تتجاوز كل تصور وخيال .

وتبعاً لذلك تتضاعف المسئوليات الكبرى التى تلقى على عاتق الحكومات الإسلامية عامة ، والحكومة السعودية خاصة .

ونحن معشر الصوفية أشد الناس حرصا على الحج . وأسرعهم إليه ، فشعار الصوفية فى العبادات دائما ، الأخذ بالأحوط والتمسك بالعزمات .

ونحن أيضا أحرص الناس على الدعاية للحج وحث المسلمين كافة على القيام به والاقبال عليه .

ولقد عانيت بنفس تجربة الحج مرات ، كان آخرها هذا العام ضمن بعثة الاتحاد القومى .

والدين النصيحة كما علمنا رسولنا صلوات الله وسلامه عليه ، ومن أعلى مقامات الإيمان ، الجهر بهذه النصيحة لأنها الطريق إلى الإصلاح وإلى الكمال .

وأقولها خالصة لوجه الله تعالى ، أقولها بصوت عال فى مسمع الدنيا ، إن الحج بهذه الصورة التى شاهدناها ، لا يحقق الأغراض السامية العالية ، التى فرض من أجلها !! ؟

وأن الصمت وغض الطرف عن هذه الحالة المفجعة . لا يتفق أبداً مع جلال هذه الفريضة ، ومع واجب النصيحة الإيمانية .

وأنا أعلم أن الجهر بهذا القول ، يحتاج إلى شجاعة نفسية تواجه كل القوى التى تضع رأسها فى الرمال حتى لا تواجه الحقيقة وما يترتب عليها من تبعات .

لقد تعود الحجاج أن يطوا صدورهم على آلامهم ، وأن يواجهوا الناس بغير مشاعرهم ، ظنا منهم أن الحديث عن مشقات الحج وأهواله ، قد ينال من أقدارهم ومن أجرهم ، أو قد ينال من الفريضة المقدسة نفسها ، وما يجب لها من تقديس واجلال .

إن عددا لا حصر له من الحجاج الذين خرجوا من ديارهم إبتغاء مرضاة الله ، يعيشون فى مكة على مستوى من الحياة لا يتفق مع كرامة الإنسانية ، بل لا يتفق مع الحقوق الأولية لكل كائن حى !! ؟

وإن أكثر من مليون حاج يحتشدون فى عرفات تحت سيل دافق من نار الشمس المحرقة دون رعاية طبية أو إنسانية ، ودون أن يوجد حتى المكان الصالح الذى يستر عورات الرجال والنساء عند قضاء الحاجة !! ؟

والحال فى المزدلفة وفى منى كالحال فى عرفات أو أشد سوءا !!! ؟

إن هذه المشاعر المقدسة ، والمناسك الطاهرة التى تتعلق بها القلوب قد غدت اليوم عذابا ونكالا ، لكل من يدنو منها ويعيش فى رحابها !! ؟

لم يعد الحج كما أراده الله ، منافع للناس ، تتوحد فيه قلوبهم ومشاعرهم ، وتتدارس فيه قضاياهم وآمالهم ، وترسم فيه خطوط حياتهم ، تحت رايات الإخاء والتعاطف ، والحب والرحمة !! ؟

لم يعد الحج كما أراده الله مثابة للناس وأمنا ، ورياضة للروح وإلهاماً ، ومتاعا للقلب ، وزكاة للإيمان .

لقد تبدل كل شيء وتحول . وتزدحم فى رأسى الأمثله وتتقاتل الأدلة وحسبى أن أقول ، وحسب العالم الإسلامى ، أنه يتصور أن أكثر من نصف مليون ضحية من الضحايا التى يقدمها الحجاج تذبح ويراق دمها ثم يقذف بها فى مسالك منى وطرقاتها فتتحول فى ساعات تحت أشعة الشمس الحارقة إلى نتن وعفن ، تتصاعد منه الروائح القاتلة ، وتتواثب منه الميكروبات الفاتكة التى لاتجد لها من فريسة إلا الحجيج الذى أهدرت كرامته وإنسانيته فأصبح يخوض فى الفرث والدم وبقايا الجيف ! ! ؟

كيف يحدث هذا من خير أمة أخرجت للناس . . وكيف يحدث هذا فى خير بقاع الدنيا وأقدسها ، وفى أفضل أيام الدنيا وأشرفها .

ذلك أمر لايصبر عليه مؤمن ولا يرضى به إنسان . أن العالم الإسلامى بأسره ليعد مسئولا عن فواجع الحج ومايحدث فيه ، إن عليه لتبعات يجب أن ينهض بها .

أما ماهى هذه التبعات ؟ . . وما هى أوجه الإصلاح فموعدنا بها المقال التالى بإذن الله . . . والله ولى التوفيق ؟

العالم الاسلامى فى انطلاقاته الصاعدة

فى حاجة إلى إيمانيات التصوف وعزماته

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقى سرور

يقول الصوفى الإسلامى الكبير شاعر الهند محمد إقبال ، مصورا مشكلة العالم الروحية . ومشكلة المسلمين فى اللحظات الحاسمة التى نعيشها اليوم .

« إن الإنسان العصرى ، وقد أعشاه نشاطه العقلى ، كف عن توجيه روحه إلى الحياة الروحانية الكاملة ، أى إلى حياة روحية تتغلغل فى أعماق النفس .

فهو فى حلبة الفكر فى صراع صريح مع نفسه ، وهو فى مضمار الحياة الاقتصادية والسياسية فى كفاح صريح مع غيره ، وهو يجد نفسه غير قادر على كبح إثرته الجارفة . وحبه للمال حباً جماً طاغياً . يقتل كل ما فيه من نضال سام شيئاً فشيئاً ، ولا يعود عليه منه إلا تعب الحياة ! ؟

هذه هى حال الغرب ! !

وليست حال الشرق خيرا منها فأسلوب الصوفية وهو الأسلوب الذى تطورت ونمت به الحياة الدينية فى أسمى صورها ، أصبح الآن فى حكم الفاشل .

لقد انطفأت وقدته ، وخبأت أنواره ، وأصبح أبعد ما يكون عن تدعيم قوى الحياة النفسية عند الرجل العادى ، بحيث تعده للمشاركة فى موكب التاريخ .

لقد انقلب إلى نوع من الزهد الزائف يجعل صاحبه يقنع بجهله ورقه الروحى قناعة تامة .

ومن ثم فلا عجب أن اتجه المسلم العصرى فى تركيا ومصر وإيران إلى البحث عن مصادر جديدة لنشاط يوجد أنواعا جديدة من الولاء ، مثل الوطنية والقومية ، التى وصفها — نيتشه — بأنها مرض وحماقة ؟

فعند ما يئس المسلم العصرى من إيجاد طريقة دينية خالصة تجدد قوى الروح ، تعلق أمله فى شغف بقوى جديدة ، كالإشتراكية الملحدة الحديثة ، ولها كل ما للدين الجديد من حمية وحرارة .

ولكنه دين ينزع إلى أضعاف روح الإنسان ، وأنضاب ينابيع قوته الروحية !؟

ولا ريب فى أن اللحظة الحاضرة تمثل أزمة خطيرة فى تاريخ الثقافة العصرية ، ولقد أصبح العالم مفتقرا إلى تحديد ، والدين الذى هو وحده القادر على إعداد الإنسان إعداداً خلقيا يؤهله لتحمل التبعة العظمى التى لابد من أن يتمخض عنها تقدم العلم الحديث ، وأن يرد إليه تلك النزعة من الإيمان التى تجعله قادرا على الفوز بشخصيته فى الحياة الدنيا ، والاحتفاظ بها فى دار البقاء . . . .

* * *

وفى تلك الكلمات المفكرة المضيئة لأقبال ، تتجلى حقائق ثلاث نضع تحتها الخطوط العريضة ؟

فالحقيقة الأولى : أن الإنسان فى الأفق الغربى قد أعماه التقدم المادى الهائل عن الروح ، فانقلت فى مجتمعاته إلى قطيع من الكباش التى تتناطح فى حلبات الصراع الاقتصادى والسياسى ، ثم انقلب على نفسه فى صراع فكرى مدمر لكل طيبات النفس وكنوز القلب ، فاشتعلت حياته الداخلية والخارجية بلهب الشقاء ، فقد أمات فيه حب المال والشهوات كل تطلع لنضال سام فى سبيل الصعود الروحى .

والحقيقة الثانية : أن شرقنا الإسلامى وقد بنيت نهضاته السابقة على أسلوب صوفى هو الصورة العليا الصادقة للروح الدينى الإسلامى ، انطفأت فيه المشاعل ، وخبأت الأنوار ، وانقلب الروح الصوفى العملاق ، إلى همود وخمود وزهد فاشل منهزم ، وجهالة يسميها إقبال « جهالة الرق الروحى » وبذلك أصبح أعجز ما يكون عن مواصلة السير فى موكب التاريخ .

والحقيقة الثالثة : أن الشباب المسلم فى الأمم الإسلامية ، وقد أحس بالفراغ الروحى الهائل ، بانهزام الروح الصوفى لديه ، تعلق أمله فى شغف بقوى جديدة ، أبرزها الشيوعية الملحدة بما فيها من حمية وحرارة فمنحها كل ولائه ، وبذلك أصبح الشاب المسلم زيلا لحضارة تتأجج النار فى داخلها وتوشك على الانفجار .

ولانجاة لنا نحن أبناء الإسلام ، ونحن فى اللحظة الحاسمة ، بالنسبة لنا وللإنسانية

كافة ، إلا بحمل الرسالة المنقذة لنا ولبنى الدنيا ، رسالة الروح الصوفى الصاعد ، التى تعلو على الكهنوت ، رسالة الخلق المتسامى ، والإيمان الحار ، واليقين الثابت .

رسالة الروح التى تعد المسلم لكى يكون جديرا بلقب المنقذ العالمى ، تعده ليكون كفؤا لتحمل تبعات الحياة التى أنجبها العلم الحديث بكشوفاته الهائلة ، بإقامة جسر إيمانى ، يصل شطرى الحياة ، المادى والروحى .

تلك الروح هى وحدها القادرة على أن تصنع شخصية المسلم المنتصرة المنقذة ، شخصية المسلم التى يتميز بها على العالمين .

هذا الروح الصوفى الذى يتحدث عنه إقبال ، هو غايتنا ورسالتنا ، وهو الفجر الذى ترقبه الإنسانية لغدها وحياتها .

ولكن ما هو هذا الروح ؟ إنه تصعيد كل عمل من أعمال الدنيا إلى الله ، وهذا العنوان عندى ، هو أجمع تعريف للتصوف .

وليس معنى هذا ، العجز أو الضعف أو الخمول ، فالتصوف الصادق ، هو الجهاد فى أعلى ذراه ، جهاد النفس حتى تسمو فوق غرائزها وشهواتها ، وجهاد فى سبيل الله حتى تعلو كلمة الحق ، وجهاد لتكون الحياه أنضر وأبهى ، وأطهر وأسمى ، وجهاد لتحقيق المثل الأعلى فى كل شىء يتصل بالانسان ، ويتصل الإنسان به .

والمتصوف الصادق ، هو الذى يعيش فى يقظة وجدانية حية قوية ، وفى يقظة روحية مشرقة عالية ، وفى يقظة حسية مناضلة متطورة .

وبهذا التصعيد تنقلب كل الأعمال الدنيوية إلى أعمال روحية ، وبذلك تتسم الأعمال كافة وتنطبع بالخير والخلق ، وما إلى الخير والخلق ، من نبل وسمو وحب وجمال وكمال .

والمتصوف إنسان حر ، حرية مطلقة غير محدودة ، قد تحرر وجدانا وضميرا وروحا وخلقا وعقلا ، لا تستعبده شهوة ، ولا تسترقه قوة ، ولا ترعبه صولة ، ولا تغريه نزوة ، إن عبوديته لربه قد أطلقت إساره ، وفكت قيده من كل عبودية لسواه .

والمتصوف قوة لا تقف فى وجهه القوى ، لقد أطلق قواه الروحية الهائلة من عقالها وفجر المدخرات القلبية وأرسل طاقاتها ، وخضع لربه وخشع ، فعاش فى أفق

الحديث القدسى عن رب العزة : « كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها » .

ثم هو خلق يرنو إلى السماء أبدا . يستشرف الكمال دائما ، يقول الإمام الكرخى : « كل من زاد عليك فى خلقه فقد زاد عليك فى تصوفه » وما أصدق هذا الميزان

ثم عظمة نفسية شاملة لا تعرف الكبرياء ولا الغرور ، يقول أبو يزيد البسطامى « إذا أحب الله عبدا أسبغ عليه صفات ثلاث دليلا على حبه ، سخاء كسخاء البحر ، وإحسان كإحسان الشمس ، وتواضع كتواضع الأرض » .

ثم عبادة دائمة يقظة حارة . تشمل كل شىء . وتحيط بكل شىء ، فالصوفى يرى الكون كله محرابا ، ويرى الأعمال جميعها ذكراً وتسبيحا ، إنه ليعبد الله بقلبه وخلقه وما تصنع يداه .

ثم تسامى بالروح فوق كل ماديات الأرض وشهواتها . أو كما يقول العلامة التوحيدى : « الصوفى هو ذلك الإنسان الكبير الذى يتخطى الحدود التى رسمتها للجنس البشرى ماديته » .

ثم طهارة باطنة وظاهرة ، طهارة القلب واليد واللسان والجوارح والضمائر ، ورحمة عالية بكل ذى كبد حى ، وكل شىء فى الوجود تسرى فيه الحياة .

ثم حب لله جل جلاله ، يشعل النور فى كل شىء ، حب تنبثق فيه محبة الإنسانية كافة .

بل حب كل شىء فى الوجود لأنه من صنع الله ، أو كما يقول حجة الإسلام الغزالى : « إن الحب الذى استحوذ على قلب الصوفى ، ليس هو حب الإنسان لله فحسب ، بل هو حب الله لجميع البشر ، فمن خلال هذه العقيدة يحب الإنسان الإنسانية كلها حباً تعبديا ، وليس هذا الحب هو الأخوة التى يوصى بها الفلاسفة باسم العقل ، إنه لشىء أكبر مما تفقه الفلسفة » .

إنه الانفعال السامى ، بتصعيد الغرائز إلى مواجيد الشوق وألحان الوجد ، وهيام الإيمان .

إنه الصلة الحارة التى تجعل الإنسان أبدا على موعد من ربه ، ونجوى من خالقه ، أو كما يقول الإمام ، سهل بن عبد الله التسترى :

« إن الدين الحى هو ما صبته الصوفية حاراً فى النفس الإنسانية » .

ثم تجربة يقينية تحرق فى أعماق النفس شكوكها وأوهامها ، وتكشف الآفاق التى لا ترى بالعين المادية .

ثم امتلاء القلب بعقيدة طبعت على الشغاف بأحرف من نار ونور ، ومن تلك العقيدة ينطلق الإيمان القوى الأبى الذى لا تزلزله الأحداث ، ولا تنال منه طارقات الزمن .

الإيمان الذى يصنع الإنسان ويكتب التاريخ ، الإيمان الإيجابى الشامخ الذى يقدم الحلول الحاسمة الأزمات الروحية والفكرية التى تقيد انطلاقات العالم الإسلامى فى دوره الصاعد .

وتلك رسالة التصوف اليوم .

التصوف الإسلامي
رسالته وقواعده

للأستاذ الدكتور أحمد غلوش

٤

الفناء عند الصوفي ومقارنته بالفناء لدى البوذيين :

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن من المستشرقين الغربيين من ذهب إلى حد تشبيه حالة الفناء عند المتصوفين المسلمين بحالة تسمى نيرفانا عند البوذيين الوثنيين وهي الحالة التي يتوهم هؤلاء أنها نتيجة تعذيبهم أنفسهم حتى تتلاشى وتمحق عنهم فلا تعود النفس إلى صاحبها أبداً إذ يزعمون أنه ينقلب فيصير بوذا بذاته أي إلها آخر تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . ولست بصدد إظهار ما في هذه المزاعم الوثنية الوهمية من الضلال والمخالفة للتعاليم الدينية الحقة . وإنما أقول أن فناء السالك المتصوف غير هذا إذ معناه فناؤه عن نفسه وصفاته الحيوانية الأرضية حباً في ذات الله بالتزام التهذيب لا التعذيب ومتى تم له هذا الفناء أشرف به على طور لا يشهد معه في الوجود إلا الله حتى ولا نفسه التي بين جنبيه فلا يرى وجوداً إلا لواجب الوجود وحده وأما وجود سواه أيا ما كان فهو وجود مجازي غير ذاتي لقبوله العدم والفناء. أما الوجود الحقيقي الذاتي فهو للذات العلية الأبدية الدائمة البقاء وحدها .

وتلك المشاهدة لا تحصل بحاسة البصر بل تحصل بعين البصيرة أي بنور ينبعث في القلب انبعاثا إلهيا إذ تكون الحواس الظاهرة كلها في غيب عن نفسها كما يحدث لمن يدخل على ملك ذي شوكة وسلطان فتملكه الهيبة والجلال إلى حد أنه لا يرى شيئا قط مما في بيت الملك من رياش وغير رياش ولا يرى أحداً ممن يكون جليساً للملك حين دخوله عليه حتى ولا يعلم من أمر نفسه شيئا حين دخوله على حضرة الملك وذلك لاستيلاء الذهول كله عليه .

فهذا الأمر مشاهد في أمور الخلق فكيف بنا وحديثنا يدور حول الفناء

فى الخالق . ثم أن السالك بوصوله إلى مقام الفناء الذى وصفنا طرفا منه يتحقق له قول النبى عليه السلام لأصحابه موتوا قبل أن تموتوا أى موتوا عن رؤية وجودكم واختياركم واعتمادكم على حولكم وقوتكم لتعلموا أن الوجود والاختيار هما فى الحقيقة وقف على الله الواحد المختار وإنكم وإن زرعتم الزرع بأيديكم فإن الزارع هو الله ولكنكم أسباب وقد يخلق الله بسبب ويخلق أيضا بلا سبب فهو مسبب الأسباب ورب الأرباب وهذا ما ترونه كشفا وعيانا بعد انقضاء أجلكم فى الدنيا أو يكون الحال كما وصفه الله فى القرآن بقولة تعالى (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد).

وبعد أن يفيق الطالب من سكر الفناء ينتقل تواً إلى مقام يسمى مقام اللقاء ويعرف عند الصوفيه أيضاً بمقام (الوصول) أو المشاهدة والمكاشفة ومن ذلك قولهم فى مواضع كثيرة من كتبهم فلان الواصل إلى الله وهذا المقام حالة وراء العقل المجرد يعجز القلم عن وصفها وتدق الافهام عن تصور كنهها إذ هى بمعزل عن نطاق المدارك العقلية لأنها حالة ذوقية روحية لا تعلق العقول بها إلا بأن تقر بجواز حصولها وعدم استحالتها ومثلها بالنسبة إلى المدركات العقلية كمثل ما يؤكل وما يشرب بالنسبة إلى حاسة البصر فكما أن هذه الحاسة لا تتعلق إلا بالمرئيات دون الأذواق إذ إدراك الأذواق من شأنها ولا من واجباتها بل هو مقصور على حاسة الذوق وحدها فكذلك المواجيد الروحية والأذواق الباطنية القلبية لا تدرك بالعقول والافهام . وإنما تدرك بنور البصيرة وطهارة الألباب .

وقد تلبث حاله الفناء التى أسلفنا ذكرها مقدار لحظة واحدة قد تطول أكثر من لحظة وكذلك حالة اللقاء أو المكاشف قد تدوم ساعة أو أكثر من ساعة حيث يعود السالك بعدها برضوان الله وفضله إلى نفسه ولكن ليس إلى نفسه الأولى الأمارة بالسوء التى كان يجاهد فى تهذيبها وصقلها بمهذبات الشرع ويحاول قهرها وتحاول قهره ويسعى فى ضبطها ضمن حدود الشريعة وهى تأبى إلا الغلبة عليه والخلاص من قهره بل يعود إلى النفس الرضية المرضية المهذبة الكاملة المطمئنة بالإيمان الراضخة لأحكام الشرع والدين . يعود الآن إلى مقام البقاء بالله أى مقام العزة الإنسانية المشروحة الصدر المستنيرة بأنوار التقوى والصلاح بعيداً عن الشوائب الشهوانية والحظوظ النفسية والصفات الذنيئة وأخصها العجب والزهو والكبر والرياء والنفاق والحسد والتطلع إلى ما فى أيدى الناس وقلة الرضى بما قسمه الله من الرزق .

يعود ليشهد فيه الخلق مثالا حياعلى صدق روح الإسلام وتكفله بأن يبلغ النفس

البشرية أقصى ما تتوق إليه من الكمالات والرقى الروحى إذ يصير قلبه مليئا بالصدق والمروءة والنخوة والطهارة والصفاء والعطف والرأفة والحنو على عباد الله بل على الخلائق جميعا حتى الطير والحيوان الأعجم يعطف عليه ويرأف به حتى لقد قال فى وصف هذه الحال مولانا العارف بالله سيدى محى الدين العربى أبياتا منها قوله قدس الله سره : —

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى ... إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
وقد صار قلبى قابلا كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لنيران وكعبة قاصد ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالحب ذينى وإيمانى

وقد أراد سيدى جلال الدين الرومى تصوير حالة الوصول إلى الله بعد بلوغ مرتبة الفناء فى كتابه المسنوى شعراً بالفارسية هذا معناه :

« توهم المحب أنه قد فنى فى محبوبه فلما اهتدى إلى بيته بعد طول السير والجهاد وقف بالباب فدق عليه يطلب الاذن فى الدخول فسمع من الداخل صوتا يناذى : من بالباب ؟ فقال المحب أنا بالباب فقال الصوت داخل البيت : كلا كلا أن هذا لايسعنى ويسع أحداً سواى . وظل الباب مغلقا كما كان فأطرق المحب مليا فأدرك أن ما حجبه دون الاذن له بالدخول إلا شعوره بوجود نفسه معه فعاد أدراجه وعاود جهاده ثم رجع بعد عام يقرع الباب فعاد الصوت يسأل من بالباب ؟ فقال أنت أنت الذى هنا وأنت أنت الذى هناك وأنت وحدك ملء الوجود ولا موجود سواك . وهنا فتح الباب على مصراعيه فدلف منه المحب ليحظى بوصال الحبيب » .

وبهذه الصورة الشعرية الطريفة أمكن للعارف جلال الدين أن يصور لنا كيف أن سلوك سبيل الصوف الحق ينيل النفس المتعطشة أقصى ما تصبوا إليه من الرقى الروحى .

* * *

هذا ما وسع المقام ذكره من الإلمام ببعض أطراف التصوف فى الاسلام إجمالا .وعسى أن تتاح لى فرصة أخرى لأزيد الموضوع جلاء وتفصيلا .

شكر وتقدير

لأمير الحج حسن عباس زكى

من مأثورات الأدب الصوفى ، من لم يشكر الناس ، لم يشكر الله .

وفى أعناق بعثة الحج الرسمية لهذا العام أمانة ، ذكرها عبادة ، هى أمانة التقدير والشكر للأستاذ حسن عباس زكى وزير الاقتصاد ، وأمير الحج .

فقد جاءت هذه البعثة لأول مرة فى التاريخ ، بعثة صوفية ربانية ، اشتملت على صفوة كريمة من أئمة الحياة الروحية وكتابها .

واستطاعت هذه الصفوة ، أن تملأ آفاق هذه الرحلة إلى الله ، بالنور وبالصفاء ، وبالأدب العالى الصاعد إلى الله .

واستطاعت فى كل بقعة من البقاع المقدسة ، أن تعرض على أعين الحجيج أدب التصوف ورسالته ومثاليته ، وأن تعيد فى صور نابضة بالحياة منهج السلف الصالح ، عند المناسك الطاهرة ، والشعائر المقدسة .

كما استطاعت أن تتصل بقلوب المؤمنين ، الذين احتشدوا من كل فج عميق ، ومن كل بقعة يذكر فيها اسم الله ، بل استطاعت أن تلمس أبعد عمق فى وجدانهم الروحى ، وأن تذكرهم بالأخوة الإسلامية الربانية التى ارتكز عليها الإسلام منذ يومه الأول ، أخوة القرآن ، التى صنعت تاريخ الإسلام المضىء .

لقد أدت البعثة رسالتها ، وأوضحت للعالمين أن الجمهورية العربية هى مركز الإشعاع الروحى ، وطليعة النضال العربى ، وعلى راياتها تلوح مشارق فجر ربانى جديد ، لخير أمة أخرجت للناس .

أما خلق أمير الحج وأدبه ومثاليته ، ورعايته لأعضاء البعثة ، وسهره على راحتهم ، فحديث لا تفى به الكلمات ، ولقد سئل الإمام الكرخى عن التصوف فقال : « كل من زاد عليك فى خلقه ، فقد زاد عليك فى تصوفه » وحسن عباس زكى فى طليعة الذين من الله عليهم بالفهم العالى للتصوف وبزيادة فيه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

طه عبد الباقى سرور

صفحات خالدة
من تاريخ الاسلام والعروبة

للدكتور سليمان حزين
مدير جامعة أسيوط

كتب الله للعرب أن يرثوا ملك الرومان وملك الفرس ، ولكنهم مع ذلك حين توسعوا لم يتصف توسعهم من قريب ولا من بعيد بصفة الاستعمار أو الاستغلال أو السيطرة أو الطغيان . ولا شك أن العرب قد اختلفوا عن غيرهم من الأمم فى أمر بالغ الأهمية . ذلك أنه عندما آن الأوان لتجتمع للأمة العربية أسباب القوة والسلطان . ظهر من العرب دين جديد ، بشر صاحبه بروح الأخاء والمساواة ، كما بشر بأنه لا تفرقة بين الإنسان وأخيه الإنسان إلا على أساس الايمان والتقوى ، أما الجنس وأما السلالة ، وأما اللون ، فهى كلها أمور ومقاييس لا يجوز أن تجرى على أساسها المفاضلة بين الأفراد ولا بين الشعوب ، وكان هذا المبدأ مبدأ خلقيا ساميا لم يسبق له نظير فى التاريخ كله ، بل كان هذا المبدأ ثورة على ماتعرف عليه العالم القديم فى عهود اليونان والرومان والفرس . ولذلك فان العرب عندما خرجوا برسالتهم إلى العالم الخارجى ، وبدءوا ينشرون لواء الإسلام فى الشرق والغرب اضطروا إلى محاربة حكومات الطغاة التى كانت تسيطر على البلدان المجاورة لهم ، ولكن شعوب تلك البلدان على النقيض من ذلك وجدوا فى العرب ورسالة الاسلام التى يحملونها مخرجا مما كانوا فيه من وملاذا لما فرض عليهم من طغيان ، فرحبوا بالرسالة الجديدة ، وبلواء الإسلام الذى أظلهم بما نشر فى أرجاء المشرق القريب من حرية ومن أخاء ومن مساواه ، وحتى الشعوب أو العناصر التى لم تقبل الإسلام ، أو لم تدخل فيه إلا رويدا رويدا ... حتى هذه العناصر لم يكن تحمسها للتخلص من العهود الاستعمارية الغابرة والنصرة للعهد العربى الجديد بأقل من تحمس الشعوب والعناصر التى اختارت الإسلام ودخلت فيه عن رغبة وطواعية .

وهكذا اختلف العهد العربى الاسلامى عما سبقه من عهود فجاء عهدا ذا رساله ، وتخلص أصحابه من وصمة الاتصاف بالقوة الغاشمة التى لا تعرف غير السيطرة والطغيان والاستعمار .

ويهمنا فى هذه المناسبة أن نشير إلى حقيقتين تعتبران فى غاية الأهمية بالنسبة لمن يستعرض تاريخ التوسع العربى ليقارن بينه وبين التوسع الاستعمارى الأوربى القديم والحديث وليبرز ماهناك من فروق أساسية بين العرب وأهل أوربا حين أتيحت لكل منهما أسباب التوسع ، فأما الحقيقة الأولى فهى أن العرب حين توسعوا فى بلادهم لم يعملوا على أن يكونوا هم السادة فى الجهات التى توسعوا فيها . . ذلك أن الاسلام ذاته قد هذب نفوسهم وكبح غرائزهم ووجههم وجهة الخير والانسانية فهم لم يكونوا فاتحين ولا غزاة بقدر ما كانوا دعاة ومبشرين بعهد جديد ، ولذلك فان العرب لم يصروا حين خرجوا من جزيرتهم على أن تكون لهم السلطة أو يتركز فى أيديهم السلطان . وسرعان ماسمحت نظم الحكم الاسلامى وأوضاع الشريعة الجديدة لسكان البلاد الأصليين فى البلاد التى فتحها العرب أن يحتفظوا لأنفسهم بالسلطة الفعلية فى بلادهم ، وهكذا ظهرت عناصر جديدة من غير العرب الأصليين ، بل من سكان البلاد المفتوحة ومنها إيران وأطراف الأمبراطورية البيزنطية ، وجمعت هذه العناصر من أسباب القوة والسلطة فى بلادها ما لم يتيسر للعرب أنفسهم ، ولن نستطيع أن نجد لمثل هذا الذى حدث فى أيام الأمبراطورية العربية الاسلامية نظيرا . لا فى عهد الأمبراطورية الرومانية القديمة ، ولا فى عهد الأمبراطوريات الأوربية الحديثة من فرنسية وبريطانية وغيرها ، حين خرج الأوربيون ليسيطروا على المستعمرات وليحولوا بين أبنائها وبين أن ينالوا حظا من التعليم أو فرص الحياة التى تتيح لهم أن ينافسوا أبناء الدولة المستعمرة أو يشاركوا معهم فى الجاه أو السلطال .

وأما الحقيقة الثانية التى ينبغى ألا تغيب عنا ، والتى طمستها للأسف الشديد أغلب الكتب والمراجع الأفرنجية التى تصدت للكتابة عن تاريخ العرب والإسلام فهى أن الإسلام منهم بأنه دين انتشر بالقوة وبحد السيف . وليست هناك تهمة أبعد عن الحق وأوغل فى البهتان من هذه التهمة الباطلة ،فالإسلام بحكم أصوله المقررة لا يمكن أن يفرض على الأفراد أو على الشعوب ، بل أنه دين يقوم على أساس انعدام الإكراه وعلى ترك الحرية المطلقة للناس ليدخلوا فيه بمحض اختيارهم وأننا إذا رجعنا إلى التاريخ العسكرى ذاته لانتشار الفتوح العربية الأولى لوجدنا أن بعض الفتوح التى تمت كانت القبائل العربية تشترك فيها بصرف النظر عن ديانتها وهناك من الأدلة القاطعة ما يثبت أن بعض القبائل العربية التى احتفظت بمسيحيتها ولم تدخل الإسلام كانت تدخل جنبا إلى جنب مع القبائل العربية التى أسلمت ، وفوق ذلك إذا

ما استعرضنا تاريخ التوسع الإسلامى وانتشاره كدين جديد فى جهات واسعة من العالم كداخلية آسيا وشرقها ، أو كالمحيط الهندى وجنوب شرق آسيا واندونيسيا ، فإننا لا نلبث أن تبهرنا الحقيقة الكبرى وهى أن الإسلام لم ينتشر فى هذه البلاد بحد السيف ، ولا فى ظل الامبراطورية العسكرية ، وإنما انتشر كدين سمح بشر به أبناؤه من التجار والملاحين وغيرهم ، وكان تبشيرهم ، بالدين الجديد خالصا لوجه الله ، وخاليا من كل غرض استعمارى فهو تبشير يختلف اختلافا تاما عما نراه من نشاط المبشرين الأوربيين فى أفريقيا وغيرها فى العهد الحديث ، أما داخلية آسيا فإن الثابت أن الإسلام إنما انتشر فيها فى وقت هبطت فيه القوة العسكرية العربية وانكسرت فيها شوكت العرب من الناحيتين العسكرية والسياسية عندما خرج المغول من أطراف الصين وفتحوا العالم الإسلامى ودوخوا دول العرب والمسلمين فى غرب آسيا وحطموا بغداد وغيرها من مراكز الفكر والثقافة الإسلامية فى ذلك العهد ، ومع ذلك لم يلبث الإسلام أن فتح قلوب المغول فى أواسط آسيا فانتشر بينهم وبلغ مشارف الصين الشمالية ، وهكذا جاء انتشار الإسلام فى هذا الجزء من العالم القديم معاصراً لعهد من عهود ضعفه العسكرى ، مما ينفى عن العرب والاسلام صفة التوسع ونشر الثقافة بحد السيف كما تحاول الدول الاستعمارية الأوربية الحديثة .

هذه هى الصورة التى اتخذها توسع العرب بالبر والبحر ؛ وهى صورة تفرد للعرب وللاسلام مكانة خاصة فى التاريخ ، وتنفى عنهم تهمة التوسع الغاشم أو الطغيان الاستعمارى ، ومن الخير لنا ونحن فى مجال النهضة المعاصرة أن نذكر هذه الصفحة الخالدة من تاريخنا المجيد .

مؤرخو الثقافة الاسلامية

للدكتور محمد خلف الله أحمد

عميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية

إذا كان لعلماء القرون الهجرية الأولى فضل السبق والابداع فى التأليف ، فى فروع الدراسات الاسلامية ، من قرآن وحديث وتاريخ وغيرها ، فإن لعلماء القرون المتوسطة ـ الخامس والسادس والسابع ـ فضل التوسع والتنظيم والاحاطة ، وتصنيف المراجع الواسعة التى جنت منها نهضتنا الحديثة فائدة كبيرة ، إذ أن من عوامل نجاح الباحث فى عمله أن يلم بالتراث السابق فى موضوعه ، وأن يتعرف جهود الأسلاف فيه ، وينقدها بالعين المنصفة الفاحصة ، محاولا أن يخطو بالموضوع خطوات ، يتقدم بها العلم ، ويسير بها ركب الحضارة إلى الأمام .

وقد شاركت الأقطار الإسلامية المختلفة فى عملية التوسع والتنظيم هذه ، فأطلعت حواضرها أعلاما شدت اليهم الرحال من الآفاق وعرفنا ببعضهم فيما سبق من هذه الأحاديث .

ونريد أن نستأنف هذا التطواف النافع ، وأن نقف على بعض مراكز الاشعاع العلمى وقفات كلها تبجيل وأعجاب ، وأن نقدم طلاب العلم المحدثين إلى شيوخهم من علماء الإسلام ، الذين كانوا نماذج فى الاخلاص للعلم والتوفر عليه ، والزهد فى مظاهر الدنيا من جاه أو مال .

فلنشد الرحال ـ إذن ـ إلى جزيرة « إبن عمر » قرب الموصل ، ولنختر من مراحل التاريخ نهاية القرن السادس وأوائل السابع الهجرى ، ثم لنستأذن ولنقف فى إجلال أمام بيت من بيوت المعرفة هناك ، أفاض الله عليه الحكمة وعلمه مما يشاء ونبتت فيه شجرة طيبة كل فرع فيها يعدل روضة من رياض العلوم والمعارف .

أنظر تجد أمامك إخوة ثلاثة ، نشأوا فى حجر الثقافة الإسلامية ، وانتسبوا بأسمائهم اليها . فتسمى أكبرهم « مجد الدين » والأوسط « عز الدين » والأصغر

« ضياء الدين » وكأنما تعاهد الأخوة الثلاثة على أن يشق كل منهم لنفسه طريقا يجلى فيه ، وعلى أن يؤلف فى فرعه مرجعا ينهل منه مريدو العلم طوال العصور . فأما مجد الدين فقد اختار أن يكون عالم حديث ، وأما عز الدين فقد نحا نحو التاريخ وأما ضياء الدين فقد وجد فى دراسات بلاغة القرآن والأدب بغيته وضالته .

ولقد تحدثنا عن « ضياء الدين » فى كتابه « المثل السائر » فيبين لنا كيف يربى الأديب الناشىء على ثقافة أساسها القرآن والحديث وروائع الشعر القديم ، ويدلنا على طريق الاجتهاد فى الأدب ، ويكشف لنا بالتحليل العملى عن كثير من أسرار الإعجاز والجمال فى القرآن الكريم .

فنجعل موضوعنا اليوم مع أخويه المحدث والمؤرخ ولنتبين اليد الباقية التى أسداها كل منهما إلى دراسات الإسلام .

كان « مجد الدين بن الأثير » — كما تقول تراجمه — عالما فاضلا وسيدا كاملا جمع بين علوم العربية المختلفة ، وألف فيها تآليف نافعة ، ولكن ميدانه الخاص كان الحديث : فقد صنف فيه — فيما صنف — كتاب « جامع الأصول فى أحاديث الرسول » فى عشرة مجلدات ، وكتاب « النهاية فى غريب الحديث والأثر » فى خمسة مجلدات وهذا الكتاب الأخير يعرض تاريخ التأليف فى غريب الحديث منذ أن خالط العرب غير جنسهم ، وامتزجت الألسن وتداخلت اللغات وألهم الله عز وجل جماعة من أولى المعارف ، فصرفوا إلى هذا الشأن طرفا من عنايتهم ، وعملوا على حراسة هذا العلم الشريف من الضياع ، ولم يخل منهم عصر من العصور حتى أيام المؤلف ويجدر بالطالب المتخصص أن يرجع إلى مقدمة هذا الكتاب ليتعرف فيها إلى المؤلفين السابقين من أمثال ابن عبيدة وابن سلام وابن قتيبة والخطابى والهروى والزمخشرى وأبى الفرج بن الجوزى ، وليتبين منازعهم فى مؤلفاتهم ، ليرى كيف تطورت هذه الدراسات إلى أيام مجد الدين بن الأثير .

يقول مؤلفنا : « ولما وقفت على كتابه (أى كتاب بن الجوزى) المسمى لكتاب الهروى ، وأدركت ما يعترى الباحث فيهما من مشقة ، رأيت أن أجمع ما فيهما من غريب الحديث مجرداً من غريب القرآن ، وأضيف كل كلمة إلى أختها فى بابها تسهيلا لكلفة الطلب ، ثم أدركت ما فيهما من قصور ، فتتبعت الكتب الأخرى ، واستقريت ما حضرنى منها ، واستقصيت مطالب المسانين والجاميع ، وكتب السنن

والغرائب قديمها وحديثها ، وكتب اللغة على اختلافها ، وجريت فيه على التقفية على حروف المعجم بالتزام الحرف الأول والثانى من كل كلمة ، وإتباعها بالحرف الثالث ، إلا أنى وجدت فى الحديث كلمات كثيرة فى أوائلها حروف زائدة قد بنيت الكلمة عليها حتى صارت كأنها من نفسها ، وكأن يلتبس موضعها الأصلى ، لاسيما وأكثر طلبة غريب الحديث لا يكادون يفرقون بين الأصلى والزائد ، فرأيت أن أثبتها فى باب الحرف الذى فى أولها . . ونبهت عند ذكراه على زيادته . . وأنا أسأل من وقف على كتابى هذا ورأى فيه خطأ أو خللا أن يصلحه وينبه عليه .. حائزا بذلك منى شكراً جميلا ومن الله تعالى أجراً جزيلا » .

أرأيت ياصديق إلى هذا الاستقصاء ! . . ثم أرأيت إلى تواضع العلماء كيف يكون ! . . لقد شهد له أخوه المؤرخ فى كتابه الكامل شهادة حق فقال : « وكان كاتبا مغلقا يضرب به المثل ، ذا دين متين ولزوم طريق مستقيم ، رحمه الله ورضى عنه فلما كان من محاسن الزمان ، ولعل من يقف على ماذكرته يتهمنى فى قولى ، ومن عرفه من أهل عصرنا يعلم أنى مقصر » . .

وقد كان مجد الدين مثالا لما ينبغى أن يكون عليه العالم من جلال وأباء وتحرج من ظلم الناس ، روى عنه أخوه أنه حدثه فقال : « الزمنى نور الدين صاحب الموصل بالوزارة غير مرة وأنا أستعفيه ، حتى غضب منى وأمر بالتوكل بى ، قال فجعلت أبكى ، فبلغه ذلك ، فجاءنى وأنا على تلك الحال فقال لى : أبلغ الأمر إلى هذا ماعلمت أن رجلا من خلق الله يكره ما كرهت ! . . فقلت : أنا يا مولانا رجل كبير ، وقد خدمت العلم عمرى ، واشتهر ذلك عنى فى البلاد بأسرها وأعلم أننى لو اجتهدت فى اقامه العدل بغاية جهدى ما قدرت أؤدى حقه ، ولو ظلم أكار فى ضيعة من أقصى أعمال لنسب ظلمه إلى ، ورجعت أنت وغيرك باللائمة على ، والملك لا يستقيم إلا بالتسمح فى العسف وأخذ هذا الخلق بالشدة وأنا لا أقدر على ذلك . قال : فأعفاه السلطان من الوزارة .

وبعد ـ أيها الرفيق فالحديث مع مجد الدين يطول ، وفى برنامج رحلتنا هذه أن نستمع ولو قليلا إلى الأخ المؤرخ عز الدين . وأن نتعرف مبلغ جهده فى كتابه « الكامل » ، وبذلك : نكمل فكرتنا عن هؤلاء الأخوة الثلاثة الذين ما أنجبت الليالى بمثلهم سياسة ونبلا ورياسة ، كما يقول صاحب معجم الأدباء .

لقد كان عز الدين من صغره محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها ، مائلا إلى المعارف والآداب المودعة فى مطاويها ، فلما تأملها رآها بين مطول ممل أو مختصر مخل فقد ترك الكثير منها العظيم من الحادثات ، وسود الأوراق بصغائر الأمور ، الشرقى منهم قد أخل بذكر الغرب ، والغربى قد أهمل أحوال الشرق ، فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخا احتاج إلى مجلدات كثيرة .

هكذا كان الموقف فى التأليف التاريخى كما وجده عز الدين بن الأثير ، لهذا سارع فى تأليف جامع ، وأتى فيه بالحوادث والكائنات متتابعة يتلو بعضها بعضا إلى وقته وهو يذكر بالخير والتقدير كتاب التاريخ الكبير للطبرى الذى توفى فى أوائل القرن الرابع ، إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه ، وقد كان صاحبه إماما متقنا حقا جامعا إلى العلم صدقا وصحة اعتقاد ، لهذا يعتمد بن الأثير عليه أولا ، فيأخذ من تراجمه وينقل أتم رواياته ، ويضيف إليها من غيرها ما ليس فيها ، ثم يتناول غير الطبرى من التواريخ المشهورة فيطالعها ، ويضيف منها إلى تاريخ الطبرى ما ليس فيه ، ويضع كل شىء منها موضعه ، إلا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يضيف إلى ما ذكره الطبرى غير ما فيه زياده بيان أو اسم انسان .

وابن الأثير حريص أن يبين أنه لا يعتمد إلا التواريخ التى عرف أصحابها بصدقهم فيما نقلوه ، فهو لا يخبط فى ظلماء الليالى ، ولا يجمع الحصباء واللالى ، وقد وجد المؤرخون يذكرون الحادثة الواحدة فى سنين ، فجمع هو الحادثة فى موضع واحد وذكر كل شىء منها فى أى شهر أو سنة كانت ، وذكر فى كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها ، فأما الحوادث الصغار فإنه أفرد لجميعها ترجمة واحدة فى آخر كل سنة ، كما ذكر فى آخر كل سنة أيضا من توفى فيها من مشهورى العلماء والأعيان والفضلاء .

وهو ينعى على جماعة ممن يدعون المعرفة والدراية احتقارهم التواريخ وأعراضهم عنها ، ظنا منهم أن غاية فائدتها إنما هو القصص والأخبار . والحقيقة أن للتواريخ كما يقول — فوائد دنيوية وأخروية : منها أن الشخص إذا طالع أخبار الماضين فكأنه عاصرهم ، ومنها أن أولى الأمر والنهى إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة فى الكتب يتناقلها الناس استقبحوها وأعرضوا عنها ، وإذا رأوا سيرة العادلين استحسنوها ورغبوا فيها ، ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث ، ومنها ما يتجمل به الانسان فى المجالس والمحافل

ومنها أن من تدبر فيها زهد فى الدنيا وأعرض عنها وأقبل على التزود للاخرة .ولهذه الحكمة وردت القصص فى القرآن المجيدة إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

هذا هو مجمل منهج الكامل فى تاريخه الذى يبتدى بالخليفة وينتهى إلى آخر سنة ٦٢٨ هـ . أى سنتين قبل وفاة المؤلف . وقد عرف المستشرقون مكانة هذا الكتاب فطبعوه فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، كما طبعوا للمؤلف كذلك كتابه « تاريخ الدولة الأتابكية فى الموصل » مع ترجمة فرنسية . وللمؤلف كتاب آخر معروف هو « أسد الغابة فى معرفة الصحابة » .

وبعد يا صديقى — فهؤلاء هم أبناء الأثير مثل النجوم التى يسرى بها السارى فبأيهم أقتديت اهتديت ، وهذه هى كتبهم الخالدة على الزمن تشهد للفكر الإسلامى بالخصب والنماء والبركة ، وتحفز همم الأحفاد ليرودوا مجاهل العلم . ويضعو — كما وضع أسلافهم — لبنة فى بناء صرح المعارف الانسانية .

التطور فى الدين

حول مقالات فتحى غانم فى صباح الخير

للدكتور مصطفى كمال وصفى الرفاعى

لا أريد أن أقول إن فتحى غانم قد دل على عقيدة ضعيفة فيما يكتبه هذه الأيام فى مجلة صباح الخير داعيا إلى « عدم جمود الدين وقصوره » . ولكنى أقول إنه يركب بنا مركبا صعبا ويخاطر بنا فى آفاق غير مأمونة باتجاهه الذى يدعو إليه ، دون أن يحدده أو يضبط مراميه منه .

بدأ فتحى كتاباته فى هذا الموضوع بهذه الدعوة مجردة : أن الدين غير جامد . لا يجب الوقوف به موقف الجمود ، بل يجب تطويره وتطهيره من الخزعبلات والأوهام . . وأن التواكل والتسليم والتصديق بالغيبيات أمر يجب أن يتبرأ الدين منه .

رد عليه الشيخ أحمد الشرباصى قائلا أن هذا الكلام فى هذا المجال يقلق أمن الدين واستقراره ، وأنه يجب عدم فتح مناقشات ومجادلات لاداعى لها إلا بلبلة الأفكار .

أجابه فتحى غانم إجابة قاسية . قال له أنت تفكر بروح الموظف فى إدارة الأمن العام . وتجادل من قد يعلمون خيراً منك (؟) وإننا نريد تحرير الدين من أفكار الجهلة المتزمتين (؟) وعاد إلى ترديد عباراته السالفة عن ضرورة تحرير الدين من التواكل والتسليم والتصديق بالغيبيات . وأن التصديق أمر يبرأ منه الدين .

كتبت للشيخ أحمد قلت له لاترد عليه . لأنه لم يكتب ما يرد عليه بل فقد أعصابه فحسب . وعند ذلك يكون الرد مهاترة تتنزه عنها . وكتبت لفتحى غانم أقول له إن الناس فى عقائدهم يعانون الشكوك والريب (وخليهم متسلبطين) ومجلة صباح الخير (المجلة الوردية الدلوعة) يقرأها كثيرون من هذا النوع . وربما أساء بعض هؤلاء المتسلبطون فهم قولك فينقطع ما بقى بينهم وبين الله من حبل واهن . . . ربما كان أدق من خيط العنكبوت . أفأنت — كما قلت لفتحى — تقبل تحمل هذه المسئولية ؟ وقلت له إن بعض مسائل الدين لا تقبل تطويراً — كالعقائد وأصول الدين وما ورد فى القرآن والسنة — والبعض الآخر يقبل ذلك بضوابط من

الاجتهاد . وأن الأمة بحمد الله فتح الله عليها فى طرح أصول الدين فتحاً مبيناً بحيث ألقت الدين من حالق وانطلقت فى مجالات التهديم والتخريب . . . فأى تطور تريد بعد ذلك ؟

ولما كان فتحى ينشر لمن يشاء ويغفل من يشاء بيده الأمر وهو على كل شىء قدير ، فقد وضع خطابات المعجبين والمتلهفين أمثالنا أمامه ومد أنامله واختار أحد هذه الردود فكان خطابا من أحد أنصار التطور يخبره فيه بأن جاجارين وآخر (لا أذكر اسمه . هو أمريكى) قد صعدا إلى القمر وأن إمام مسجد بلدهم يقول إن هذا غير معقول ويستعيذ بالله منه . ولقد سر الأستاذ فتحى سروراً عظيما بنجابة هذا القارىء وعد إجابته نموذجاً كاملا للتفكير السليم المستقيم وقال هكذا يتبين أن الناس يريدون التطور بالدين . وإنه يجب محاربة المتجرين باسم الدين المفسدين فيه .

* * *

ماذا نقول فى هذا ؟

لا أتجنى على فتحى غانم . ولا أتهمه زوراً فى مقاصده .

حقيقة هو ملوم فى دعوته للتخلص من التسليم بالغيب . لأن الإيمان هو تسليم بالغيب . وكذلك دل على أنه لا يدرك معنى الصوفية . ولكن ذلك لا يمنعنى من أن أقول أن فتحى غانم ، كأى فرد يعيش فى مجتمعنا هذه الأيام ، انعكست فى ذهنه ذبذبات مشكلة هائلة كبرى تسيطر على الأفكار الآن وهى مشكلة التطور ومشكلة القديم والحديث .

فتحى غانم معذور إذ تتحرك فى ذهنه هذه المشكلة ، ويشعر شعوراً قلقاً ، ويقول نريد تطوراً .

وأظن أن الشعور الذى اعتمل فى صدر فتحى كان غامضا مبهماً . وكانت صيحته كأنها صيحة استنجاد ومطالبة . ولا أعتقد أن لديه برنامجاً معيناً أو فكرة يريد إبداؤها . لقد ظننت فى البداية أن كلمته هذه مقدمة صغرى لمقدمة أكبر ، ثم يبدى بعد ذلك أفكاراً منسقة مبنية على استخلاص النتائج من الأسباب . ولكنى لاحظت من عباراته أنه ليس لديه شىء جوهرى ولا فكرة واضحة محددة ، وأن مقدمته الصغرى كانت خلاصته الكبرى وانتهى .

ولكنه فتح لنا باب مشكلة حقيقية ربما لا يعلم هو كم هى دقيقة .

مشكلة التطور هى مشكلة صراع فكرى شامل جائح فى المجتمع العربى الآن . مشكلة كل بيت . مشكلة كل شاب . مشكلة كل خلية من خلايا هذا المجتمع .

أنا أكتب هنا من سوريا . وأقرر أنها كذلك مشكلة حيوية هنا .

وأنا أؤيد فتحى غانم فى وجوب التطور . بل أقرر أنه ربما كان فتحى غانم حسن النية جداً غيوراً على الدين إذ صاح هذه الصيحة ولكنه قد لا يكون متشربا تماما بالروح الدينية ولذلك اختلطت أفكاره ببعض الفلسفات الضارة التى تفسد الكثير على عقول من درسوها ، وتطل برأسها رغما عنهم عند مامتحدثون عن الدين .

* * *

من الغريب ونحن الشعب العريق أنه ليست لنا تقاليد محددة . كل ماورثناه عن الآباء فى شئوننا الخاصة كمناسبات زواجنا وعزائنا وعلاقاتنا ببعضنا طرحناه . وأصبحت كل زيجة تجربة جديدة لتقليعة من نوع جديد . وكل جنازة وعزاء يبدو فيها شيئا لم يكن موجوداً من قبل . وأصبح الإبن يقول لأبيه « أنت لا تفهم ظروفنا » والأب ينكص أمام ابنه ويقول ربما ؟ وفى كل مكان نرى أصحاب العمائم واللفائف والمسابح متشبكين مع تلامذة فرويد وداروين وكارل ماركس . . . هؤلاء يقولون قديم وهؤلاء يقولون جديد .

معاملاتنا أصبحت فيها استفهامات . التأمين حرام ؟ الفوائد حرام . . . وودائع البريد كذلك ؟

وناهيك عن عالم المرأة والملاهى ... البلاجات والسفور والتبرج . . . السينما . الغناء . . . حرام أم حلال ؟

من قال حلال ، ينظر شذرا لمن قال حرام ويقول له « افهم أولا روح دينك ... إن الإسلام دين ودنيا ... قل من حرم زينة الله ؟ ولا تنس نصيبك من الدنيا . . . إن الله يحب أن يرى نعمة عبده عليه . . . » وكيف إن وكيف كان ؟ وهكذا ترى هذه الخنافة فى كل حارة وكل شارع ... حتى أصبحت ظاهرة اجتماعية هامة عامة .

* * *

نحن حيال هذه الظاهرة لا يجب أن ننكر الواقع .

لا يجب أن نترك الأفكار المنحرفة النابعة عن قلوب غافلة أعماها حب الدنيا

واللهو والتمتع تتبجح باسم الدين . وتنسب ما تدعو إليه من فسق وانحلال إلى الدين ونور الشريعة المباركة .

وكذلك لا يجب أن نهمل إعادة النظر فى الجديد من شئوننا فى ضوء الدين . لأن ذلك يؤدى إلى بسط ظل الدين على هذا الجديد . فلا يجب أن نتركه وكأنه خارج عنه . هذا هو الجمود الذى ننتزه عنه .

إن تحريم الحلال . كتحليل الحرام . كلاهما خروج على الدين .

***

إن فى الجمهورية العربية المتحدة الآن وعى شديد قوى نحو هذا التجديد . وقد قامت طائفة من رجال هذه الأمة ومسئوليها يدعون إلى تطوير الدين عملا وإلى إعادة النظر فى كل ما طرأ بعد قفل باب الاجتهاد .

فى مصر قام وزير الأوقاف — والله أدعو له من قلبى وربما لم أره فى حياتى — بتشكيل لجان وهيئات القصد منها إعادة بحث الأحكام الشرعية من جديد بما يطابق روح العصر . واظن تفرع عن هذه الهيئة . موسوعة للفقه الإسلامى . ولجنة لإحياء التراث الإسلامى وغير ذلك . ويشترك فى ذلك عدد من الشخصيات الإسلامية الكبيرة . كالسيد على السيد رئيس مجلس الدولة السابق وعبد الحكيم فراج وكيل مجلس الدولة وعلى على منصور المستشار فى القضاء وغيرهم كثيرون . وقامت كذلك جمعية كبيرة لهذا الغرض أظن يتبنى فكرتها كذلك فهمى السيد مستشار رئيس الجمهورية ووصفى أباظة وكيل مجلس الدولة وآخرين . وفى سوريا تقوم مثل هذه الحركة بكل وضوح . ومن الظاهرين فيها أستاذنا السيد محمد مكى الكتانى ، والمنتصر الكتانى ومعروف الدواليبى ومحمد المبارك ومصطفى الزرقا وغيرهم وكلهم من العلماء الفحول .

***

طبعا لا فتحى غانم ولا أى مسلم يقول بأن نتطور فى شئون العقائد . وهو نفسه يؤكد ذلك . فلا إله إلا الله محمد رسول الله ، لا تطور فيها .

وكذلك ما ورد فى الكتاب والسنة الصحيحة .

أما تطبيق أحكام الدين على حالتنا الحاضرة فهو الذى يحتاج للتطوير .

فمن ناحية جدت أمور جديدة يجب أن نعلم حكم الله فيها . ضربنا فيها مثلا عقد التأمين فإن كانت حراما تركناه ، وإن كانت حلالا أقبلنا عليه .

ومن ناحية أخرى حدث فعلا أن غادرنا نطاق الديه فى كثير من الأمور . يجب أن نبحث سبيل العدوة السريعة إلى مجال الدين بدون أن تحدث رجة أو زعزعة فى الأوضاع الحالية ، نرجع رجوعا سريعا ولكن بتدريج متطور قدر الطاقة .

كذلك عوائدنا ومعاملاتنا ، يجب أن نعود فيها للدين عودا يلائم روح الزمان لقد كتبت وزارة الأوقاف حينا من الدهر كتيبات فى هذا الموضوع ، وهو أمر لا بأس به . ولكن يجب أن يكون الأمر شاملا وأن تبدوا الغيره واضحة . شكلوا الجمعيات لهذا الغرض . امنعوا نساءكم من التبرج والسفور . اعتنوا بتربية اولادكم وأنفسكم قدموا مقترحاتكم لمجلة الإسلام والتصوف افعلوا الخير لعلكم تفلحون .

وفقنا إليه جميعا — بما فينا فتحى غانم — للخير والرشاد .

فى أفق الثقافة الاسلامية

للاستاذ سيد على الطويجى

كتاب نهج البلاغة

جمعه الشريف الرضى من كتب من تقدمه والتزم أنه لا يجمع إلا من كلام على كرم الله وجهه وشرح هذا الكتاب لشرح كبير عشرين جزءاً فى أربع مجلات لهبة الله ابن أبى الحديد المتوفى سنة ٦٥٦ هـ والمؤرخون أخبروا عنه أنه من كبار الشيعة الغالين ويسمى عز الدين أبو حامد بن هبة الله المدائنى المعتزلى وقد صنفه لخزانة كتب الوزير مؤيد الدين العلقمى وزير المستعصم آخر خلفاء بنى العباس وشرحه أيضا فى العصر الأخير الشيخ محمد عبده ولكن شرحه وجيز جداً ويقال أنه شرحه ٢٦ شارحا والشك فى نسبة هذا الكتاب للإمام قديم وأقاموا الأدلة على عدم صحة النسبة ولكن الشريف الرضى لتشيعه تساهل فى العزو . وقد اختلفوا أيضا فى شعره فبعضهم يقول أنه لم يقل إلا بيتين وبعضهم نسب إليه ديوانا ولكن الديوان فيه شعر قد نسب إلى غيره وهذا لا يمنع أن له شعرا وأن له نثرا عظيما إذ فصاحته وبلاغته ونوره لا تنكر وفى الأدلة على أن نهج البلاغة ليس له أنه قد تعرض فى بعض خطبه لبعض الصحابة وذمهم كما فى الخطبة الشقشيقية وهذا بعيد أن يصدر من أمثاله ومنها وصف الطيور والروح الصوفية الفلسفية التى لم تظهر فى عهده رضى الله عنه .

٢ — ابن سينا فى الباطنية

ألف عالم من علماء القرن الحادى عشر وهو الجيلانى كتابا فى ابن سينا وسماه توفيق التطبيق فى إثبات أن الشيخ ينطبق عليه هذا العنوان واستدل على دعواه بنصوص أوردها من كتبه وقد تعرض له ابن قيم الجوزية فى كتابه شفاء العليل فى القضاء والتعليل فقال وحمل عليه حملة منكرة هو يستحقها لأنها تخالف الشريعة ونص عبارته فى صفحة ١٥ و ١٤ قال شيخ الملحدين ابن سينا فى إشاراته العارف لا ينكر منكرا لاستبصاره بسر الله تعالى فى القدر وهذا كلام منسلخ من الملل

ومتابعة الرسل وأعرف خلق الله به رسله وأنبياؤه وهم أعظم الناس إنكارا للمنكر وإنما أرسلوا لإنكار المنكر فالعارف أعظم الناس إنكارا للمنكر لبصيرته بالأمر والقدر . . .

٣ — الإذاعة الباطلة

أذاع فى المذياع أستاذ فى بعض كليات الأزهر وهو الشيخ منصور رجب حديثا أخلاقيا صدره بهذه الرواية وهى أن السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها خبزت من الشعير خمسة أقراص فلما جاء سائل أعطته الأقراص وعلى ذلك بات الحسن والحسين جائعين الخ ولقد تابع بعض المفسرين الذى ذكر هذا السبب عند قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه .. الآية وما علم أنه ليس كل ما ورد سببا للنزول يعتبر صحيحا فهو كالحديث تارة يكون السبب صحيحاً وتارة يكون غير صحيح وياليته كان هذا الكلام فى درس فى المساجد بل كانت الإذاعة فى المذياع الذى يسمعه أكثر العالم الإسلامى فماذا يقولون عنا وهم مشتغلون بالحديث ورجاله فيميزون الصحيح من غيره فيصمنا الخارج بأن علماءنا لا دراية لهم بالحديث ولا يتوجه على المذيع ملام فهو يعتقد أنه متى كان شيخا فهو يعتمد عليه وليس للشيخ عذر .

٤ — المستشرقين

ليس اللوم على المستشرقين إنما اللوم على من طالع كتبهم وآثارهم وقدرها وجعل لها قيمة فإن المستشرقين طالعوا كتبنا العربية وفهموها على قدر استعدادهم مع ملاحظة أنهم طالعوها وهم متشبعون من دينهم وحرصوا عليه وأغلقوا على نوافذ بصائرهم حتى لا يرون النور ولم يطلبوا فى ساعة حقا ولا باطلا فناموا ونامت عقولهم على صحة ما عرفوا وألغوا عقولهم وأقدموا على كتبنا العربية مع كراهة ديننا كراهة شديدة ليكتبوا ويشوهوا ويطمسوا ما أقدموا للإنصاف ومعرفة الحقائق وإذا كان المتعلمون منا أولئك الذين عاشوا فى الإسلام وبيئة المسلمين لا يفرقون بين غث وسمين بل يرون كل ما فى الكتب صحيحا فكيف ننتظر من هؤلاء الأعداء الإنصاف والتقدير والإعجاب وقلما ترى رجلا نصب نفسه لمعرفة الحق وإبطال الضلال وهدمه فأغلب المؤلفين مقلدون سواء أكانوا عربا أم مستشرقين على أن هؤلاء للمستشرقين إذا رأوا فى كتاب رواية صحيحة ورواية ضعيفة آثروا الأخيرة وبنوا عليها العلالى وشنوا الغارة فيجىء بعض أنصاف المتعلمين ويطالعون فى هذه الآثار السيئة وتنصبغ

عقولهم بها وتصادق البساطة والجهالة وتتخذ لها مكانا . ومن أجل هذا لا ينبغى لمسلم أن يطالع فى كتب المستشرقين إلا إذا كان على سعة من العلم والاطلاع والفهم والدراية والقدرة فقد لمست من ركن إليها ولم يكن متضلعا من دينه فأصبح زائغ العقيدة مضطربا لا تراه واقفا على فكرة مطمئنا بها بل هو كريشة فى الهواء يسيرها كما يشاء ويظن كثير من الناس أنهم على ثقة كبرى وثقافة عليا وما هو إلا دفاع ملىء من مختلف الأقوال والأفكار وهو عند التحقيق لا يساوى قلامة ظفر ونظرا لتغلب الجهل وحرمان الكثير من معرفة المصادر يظنون أنهم على شىء والذى يخاف على عقيدته ينبغى له أن لا يقدم على مطالعة كتب المستشرقين إلا مع أهل الفهم والعرفان فكتب المستشرقين هى التى ينبغى أن يقال فيها وليس كتب المنطق كالسلم والجنيصى وغيرهما يقال فيها هذه الأبيات :

فإن الصلاح والنوادى حرما وقال قوم ينبغى أن يعلما
والمقولة الصحيحة المشهورة جـــوازه لكامل القريحة

فإن كتب المنطق ليس فيها ما يخشى على المطلع عليها إنما الذى نخاف أن تقع كتب المستشرقين فى أيدى الغفل الذين لا يعقلون فيقعون فى الفخ الذى نصبوه للاصطياد فإياك أيها المسلم أن تنخدع بكتب المستشرقين فإنهم حزب الشيطان ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون وأولئك عليهم اللعنة إلى يوم الدين ولقد اتخذت كتبهم ثقافة وعرفانا والذى يطلع عليها المثقفون وإن شئت قلت هم المسخفون وهم لا يشعرون ؟ .

خواطر من الأرض المقدسة

للأستاذ محمد محمود بجيح
شيخ الطريقة السطوحية

بسم الله الرحمن الرحيم ، وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ، صدق الله العظيم .

الرحلة إلى الحج مقتضاها أن يغادر الحج وطنه ويترك أهله وولده . وماله ومتاعه ولفراق ماذكر أثر أى أثر فى النفس المؤمنة المقبلة على ربها ترجو رضاه . وتبغى قبوله . هذا الأثر الكبير يسموا بها من عالم الماديات . إلى عالم الروحانيات . ويعلو بها من عالم الزهو والغفلة والهو إلى صفاء ونقاء اليقظة والشعور .

الحاج بتركه الديار والأهل والسمار . يتذكر فراق الدنيا وما فيها من متاع بتركه معاشريه ومخالطيه الموقوت يتذكر تركهم النهائى حينما يرحل من الدنيا إلى العالم الآخروى ، ويستعيض عن متاع دنياه بقبول مولاه . وعن أنس العشيرة . أنسه بربه ونظره فى ملكوته . بذلك ينزل فى قلبه ويفيض نور المعرفة وإشراقه الطاعة . ويتحول من إنسان له شهواته إلى ملك ليس له إلا طاعاته . قد فنى الجسد فى الروح . وانعكس البصر فى البصيرة . حتى إذا ركب سفينة الحجاج . سلم قياد نفسه وزمام أمره لمسير الأفلاك وملهم الأملاك . وكلما سارت السفينة أميالا كلما هامت نفسه شوقاً وحبا فى البيت وبانيه والبقيع وساكنيه . فتتحول نفسه الحالكة من الأطماع والأغيار . إلى نفس نقية وقلب لين خاشع خاضع صاف نقى لا يفكر إلا فى خير ولا يسعى إلا إلى بر . ومتى كان الإنسان كذلك أحس برباط متين برب العالمين . إليه يفزع فى الملمات ويستنزل منه وحده الرحمات . ويحقق به المرادات . وحينما يصل إلى الميقات . ويلبس ملابس الإحرام ويتجرد من المخيط . يتذكر ساعة النشور يوم يخرجون من الأجداث . لا غنى ولا فقير . ولا صعلوك ولا أمير . يخرجون من أجداثهم . فزعين إلى ربهم . يفزع الحاج من الميقات إلى مولاه ملبى النداء .

ممتثلا الأمر . ملبيا . مهللا ذاكرشاكرا . الرؤوس عارية . والقلوب ضارعة خاشعة . والأكف مبسوطة مرفوعة . دعوات صاعدات . تشرح قلب الكليم . وتشفى برأ السقيم والتجليات تملأ العقل وتضىء اليقين .

وحينما ترنوا ببصرك إلى الحجيج زمرا زمرا وكأنهم كتائب رسول الله . غزاة فاتحين . وجنود الله المجاهدين . ولا شك فهم فى أعلى مراتب الجهاد . الجهاد الأكبر حيث يجاهدون النفس وشهواتها . وينازلون القلب ونزواته . والشيطان وغواياته . هذا جهاد وهذا جهاد . بل هذا جهاد أصغر . وذاك جهاد أكبر . وحالة التجرد هذه من الثياب المعهودة . والحلل المألوفة المعروفة . لأكبر مذكر بحالة الإنسان يوم البعث والنشور . والخروج من القبور . حفاة عراة . ينظرون رحمة الرحمن الرحيم . وبره وجوده العميم .

فإذا ما تذكر الإنسان البعث وما يعده من حشر ونشر وحساب وعقاب . هجر المعاصى . واستمسك بالطاعة . وطلق الدنيا وزخارفها . والحياة وما فيها من غرور وعمل لليوم الموعود . اليوم الذى فيه كل امرىء بما كسب رهين . يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

فإذا ما وصل الحاج إلى الكعبة ووقع نظره على البيت الكريم تذكر هذا البناء العظيم ومن بناه بأمر رب العالمين .

تذكر نعمة الله على المسلمين . حيث طهر هذا البيت الكريم من الأصنام . يوم أن انتصر الحق على الباطل . وردد رسول رب العالمين . وقل جاء الحق وزهق الباطل ن الباطل كان زهوقا . يوم أن كسر سيف الإسلام خالد بن الوليد الأصنام وسقطت مفككة الأوصال . يوم أن قال . يا عزى . كفرانك . لا سبحانك . إنى رأيت الله قد أهانك . يتذكر الحاج ويتمثل نعمة ربه . كيف بدل بنور الإسلام كلمات مرك والوثنية .

حينما ينظر الحاج إلى الكعبة وتاريخها . ويتذكر أم أسماعيل ووليدها . حيثما أسكنهم الخليل بجوار البيت ولا أنيس ولا جليس ولا طعام ولا ماء . ويترك الوالد الرحيم ولده . متوجها إلى مولاه بقلب واجف رحيم . ربنا . إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم . وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون .

ثم يرحل وقد ترك زوجه وولده لمولاه الذى أمره . وهاجر تقول لن يضيعنا ربنا : ثم تأتى رحمة الرحمن . وتنبع عين زمزم ، بماء فيه الغذاء . وفيه الشفاء .

ويعمر البيت وتأتى قبيلة جرهم تجاور هاجر وولدها إسماعيل وتنشأ مكة ويأتى من سلالة إسماعيل قريش ومن قريش سيد الأولين والآخرين . خاتم الأنبياء وإمام المرسلين .

هذه الذكرى وتلك العبرة . توحى إلى النفس شيئين كبيرين . الأول أن امتثال العبد لربه واجب وفيه سعادة كل السعادة .

الثانى أن من يتوكل على مولاه عنـــد اضطراره تدركه عناية من الله وتعمه رحمته .

من هذا يتعلم المرء أن يلوذ بربه عند الكروب ويفزع إليه وقت الشدائد فيذهب كربه وتهون شدته . وتتبدد وحشته .

وعندما يرى الحاج جموع الحجيج متحدين فى مظاهر واحدة ودعوات واحدة وصلاة واحدة وطواف واحد يدرك ما للوحدة من أثر وبأن هذه الجموع التى وفدت من شتى بقاع الأرض وإن اختلفت ألوانهم وألسنتهم اتحدت قلوبهم . والتقت . أغراضهم البيت واحد . والدين واحد . والرب واحد . والرسول واحد كل ذلك يوحى بحكمة التآزر والتعاطف والتآخى ونبذ الخلاف والتشاحن الذى يحيل القوة ضعفا والكثرة قلة .

وعندما يتذكر الحاج أن مكة هى البلد الأمين . هى مولد خاتم المرسلين ويعرف أن من هذا البلد سطع نور الهداية . وسطع نجم محا الظلمة . وأزال الغمة . وحول شعبا . كان يئد البنات . ويعبد الصنم . ويذل الضعيف ، وينصر الشريف . أى الغنى كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذاسرق الضعيف أقاموا عليه الحد . هذه كانت فلسفتهم فى الجاهليه . حتى جاء الاسلام بعدالة فقال رسول الله . والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها .

يتذكر الحاج ، مالاقاه المسلمون الأولون فى البلد الأمين فى أول الإسلام من تعذيب وتشديد يتذكر بلالا . وقد ألقوه فى رمضاء مكة على شدة حرها والحجارة كأنها شواظ على صدره . ويقول له مولاه . أكفر بمحمد وإله محمد . فيقول أحد . أحد . يتذكر الحاج . ما أصاب شهداء الإسلام الأول فى هذا البلد من تعذيب

واستشهاد . يتذكر عمار بن ياسر وسمية وغيرها . فيدرك قيمة هذا الدين المتين . وما بذله أسلافنا الأقدمون . فيعض على دينه بنواجذه . ولا يفرط فى شىء منه حتى لا تزل قدمه .

وحينما يتفرس الحاج فى وجوه فقراء مكة . يتذكر دعوة سيدنا إبراهيم « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات » فيجود بما يستطيع حيث الحسنة مضاعفة الأجر ، وليست لعشرة أمثالها بل تكون بألف من أمثالها والله يضاعف لمن يشاء .

وحينما يتوجه الحاج إلى المدينة لزيارة قبر الرسول الكريم ويتذكر استقبال أهل المدينة لرسول الله بالنشيد والتهليل والتكبير . ويتذكر قول الرسول الكريم وهو خارج من مكة وطنه ومسقط رأسه وبلد عشيرته وأهله يتذكر قول الرسول الكريم اللهم إنك أخرجتنى من أحب البلاد إلى فأنزلنى فى أحب البلاد إليك . فينزل ومن معه من المهاجرين على إخوانهم الأنصار المؤمنين .

والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . فتطيب نفسه ، ويصفو قلبه ، ويثلج صدره يشم نسائم المدينة وعطرها ، ويرى وجوه أهلها وخضرة مروجها ، ويحس بقلبه أى بعين بصيرته الأنوار المحمدية تتلألأ فى جنبات الحرم ، بل فى أرجاء المدينة بل فى جوانب الدنيا . فيقول : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

فيسلم على سيد الخلق وصاحبيه أبا بكر الصديق وعمر الفاروق .

ويزور البقيع وفيه الأقمار الأطهار من المهاجرين والأنصار .

هذه الرحلة أيها الإخوة الأحبة . هى صك الغفران ، وطريق رضاء الرحمن ، وباب القبول ، وجسر الوصول .

أما الكعبة أيها الأحباب فقد ورد أنها تحشر كالعروس المزفوفة يوم القيامة وكل من حجها يتعلق بأستارها ن يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها .

وفى الخبر أن الحجر الأسود ياقوتة من ياقوت الجنة وأنه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به ويشهد بكل من استلمه بحق وصدق .

وورد أن سيدنا عمر بن الخطاب استلم الحجر وقبله وقال إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه والتفت إلى ورائه فقال لسيدنا على: يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات . وتستجاب الدعوات . فقال على رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال . وكيف ذلك . قال : إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتاباً ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمنين بالوفاء ويشهد للكافرين بالجحود . وذلك هو معنى قول الناس فى الاستسلام . اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك . . . .

وقد روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الحجر الأسود يمين الله عز وجل فى الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه » .

وأما الوقوف بعرفه ففيه يتمثل الحاج الموقف فى اليوم الآخر وانتظار الناس للانصراف راجين رحمة رب العالمين — وأما رمى الجمار . فانقياد لأمر الرحمن الرحيم . وتشبيهاً بالخليل إبراهيم حيث عرض له إبليس اللعين ليثنيه عما أنتوى فعله مرضاة لرب العالمين . فرماه بالحصى رفضا لما يوسوس به ، وعدم التفات إليه .

كل هذه الأفعال وإن كانت حكما تعبدية إلا أنها آيات بينات ساطعات . على أن لكل عبارة حكمة ولكل نسك فائدة .

والحج أيها الأحباب مؤتمر إسلامى عام يجمع بين المسلمين من جميع بقاع العالم وهو آية تبرز معنى وحدة الصف الإسلامى . وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة . ومن حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ومن وقف بعرفه فظن أن الله لم يغفر له فقد أساء الظن بربه .

جعل الله حجنا مبروراً ، وسعيا مشكوراً ، وذنبا مغفوراً ، وجمع كلمة المسلمين جميعا . وجعلهم صفا واحداً ، ومنحهم النصر على أعدائهم . ومكن لهم فى أرضهم . ورفع لواء الإسلام وأعز المسلمين ، وألف بين القلوب ، وأزال الكروب ، ونصر قادة العرب أجمعين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

مؤهلات الحب !

للأستاذ محمود شلبي

كان صلى الله عليه وسلم يحب الله ، ويحبه الله ، فكان حريصا على كل شيء يؤهله لذلك الحب الكريم .

ولئن كان من قوله تبارك وتعالى : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » ... فإنه صلى الله عليه وسلم كان مستجيبا بالفطرة الطيبة لذلك النداء . . . فكان صلى الله عليه وسلم دائم التوبة ، حتى يروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يستغفر الله تعالى في اليوم أكثر من سبعين مرة ... وكان كذلك دائم التطهير ... كان يتوضأ دائما ، كل يوم مرات ومرات :

ولم يكن حب الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم شيئا من الفضل الإلهي وكفى . كلا ، ولكن عن جدارة واستحقاق .

كل شيء يحبه الله تعالى ، كان صلى الله عليه وسلم يحرص عليه ، ويأتيه بالفطرة ، ثم بالتشريع .

وهنا ينفتح لنا باب عظيم من أبواب البحث والاستقصاء ...

إذا كان هذا هو أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم ليحظى بحب الله تبارك وتعالى فما هو أسلوب الفرد العادي ليحظى بذلك الحب ؟ .

الأسلوب أن نفعل كما كان صلى الله عليه وسلم يفعل ، وهو ما يسمى بالاتباع ، وهو ما ينادي به الله تعالى عباده أجمعين « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله .

نعم ... إن كنتم تحبون الله حقا ، وتحرصون على حب الله ، فإن الطريق هو اتباعي ، لأني أعلمكم بالله ، وأعلمكم بالكيفية التي يتوصل بها إلى ذلك الحب ، فلا سبيل لكم إلا اتباعي ، وإلا تقليدي ... وفي نهاية الطريق تجدون الثمرة الطيبة ، وهي حب الله لكم .

والذين يزعمون أنه يمكن للإنسان أن يحب الله على غير أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم ، إنما زعموا باطلا ، وادعوا منكراً ... ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما يأتى ما يؤهله للحب بفطرته السليمة ، بقلبه السليم ... فمن الحتم أن يكون كل إنسان سليم القلب على نفس الفطرة النبوية ... لأن الله لا يغير سنته التى فطر الناس عليها .

فإذا كان كل إنسان سليم القلب موحداً غير مشرك لزم أن يكون الناس جميعا إذا أرادوا أن يزعموا أنهم سليمو القلب أن يكونوا موحدين غير مشركين .

فإذا زعم زاعم أنه يمكن أن يكون سليم القلب وهو ليس موحداً غير مشرك ، قلنا له كذبت ... فإن سلامة القلب تثمر حتما التوحيد .

كذلك الذين يزعمون أنهم يحبون الله وهم على غير أسلوب محمد صلى الله عليه وسلم هؤلاء نقول لهم كذبتم . لأن محمدا صلى الله عليه وسلم يأتى ما يأتى كل إنسان يحب الله ، فما خالفه وجاء بغير ماجاء به ، قلنا له لست محبا لله ، وإنما أنت مخادع لله ولنفسك .

وتلك القاعدة هى الأساس الأعظم فى ناموس الحب الإلهى ...

ولقد كان حتما ولزاما أن يمضى كل من أراد الوصول إلى حب الله وراء النبي صلى الله عليه وسلم .

والناس فى ذلك لا خيرة لهم ، وإنما هى نواميس الله التى لا تتغير .

فكما أنه لا بد لكل إنسان ليحقق حياته من الماء والغذاء ، فإنه لا بد لكل إنسان ليحقق حبه لله من اتباع رسول الله صل الله عليه وسلم .

ولو أمكن للإنسان أن يحصل على الحياة بلا ماء ولا غذاء ، لأمكن للإنسان أن يصل إلى حب الله بلا اتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإذا استحالت الحياة بغير ماء وغذاء ، فإن حب الله يستحيل بغير اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم .

إن الذى وضع هذا الناموس ، هو الذى وضع ذلك الناموس ... ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وعلى هذا ... ما من شيء يؤدى إلى حب الله إلا كان من صفات النبي صلى الله عليه وسلم ، وما من شيء يؤدى إلى بغض الله إلا كان النبي صلى الله عليه وسلم أبعد الناس عنه .

فما أسلوب هذا الاتباع ، وكيف يكون ؟ .

لقد حدده صلى الله عليه وسلم تحديداً ، وقننه تقنينا ... حيث قال : « إذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ... أو كما قال :

ليس هناك من تحديد أدق ولا أرق ولا أشف من هذا التحديد ! .

إذا كان الأمر نهيا وجب الانتهاء عنه فوراً ، انتهاء تاما .. لأن المعصية لا ينبغى أن تكون من المؤمن .

وإذا كان الأمر طاعة فأتوا منه ما استطعتم ، وهذا هو التوجيه المعقول .

لأنه لا يستطاع لانسان أن يفعل كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم تماما بتمام ... وإلا لصح أن يكون مثله ... وهذا مستحيل .

وإنما الذى يستطيعه كل إنسان أن يحاول أن يقترب مما كان صلى الله عليه وسلم يفعله ، على تفاوت فى ذلك بين الخلائق ، وكل ميسر لما خلق له .

ولقد جعل الله حداً أدنى للخلائق كلها لا ينبغى أن ينزلوا عنه ، أو يتدلوا دونه .. وهو ما يسمى بالفرائض .

فهناك فروض خمسة ، هى الصلوات الخمس . لا يحل لأحد أن يتهاون فى أدائها ، لأنها الحد الأدنى للإنسان .

أما التطوع فى الصلوات فلا آخر لها ولا نهاية ، فلك أن تصلى تطوعا ما شئت .. فلو بدا لك أن تقوم الليل كله فقم ... أنت وشأنك . . . لأن باب الكمال والترقى مفتوح . . . وهو باب لو عرجت فيه الخلائق كلها ما قطعت منه مقدار ذرة من صحراء واسعة .

وهنا يزهو نور التوجيه النبوى ، ويبدو لألاؤه أسنى من الشمس فى عليائها .

فأسلوب الاتباع هو هذا ... إذا كان نهيا وجب الانتهاء فوراً ، وإذا كان أمراً من طاعته كان على الانسان أن يجاوبها ما استطاع ، وذلك فيما هو بعد الفروض ، التى هى الحد الأدنى للطاعات .

لقد كانت مؤهلات الحب التى يملكها رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيمة ، ولا تحصى .

كان سليم القلب ... وسلامة القلب هى مفتاح العروج إلى الله .. ولو أنك جئت

الله بملء الأرض طاعات ، وقلبك غير سليم ما فتحت لك أبوابه سبحانه وتعالى أبدا ... لأن سلامة القلب هى مفتاح الفتوح وبداية الرضى .

وكان على خلق عظيم ... والأخلاق هى أول شىء يقرب الإنسان من الله . . . ومن لا خلق له ، لا مكان له عند الله . . فكيف به إذا كان عظيما فى أخلاقه ، أى حائزاً لأعظم قدر من الأخلاق ، وأعلى درجة من الصفات ؟ .

وكان توابا ... دائم التوبة ... وذلك من أعلى المؤهلات المؤدية إلى قرب الله .. لأن التوبة اعتراف بالذنب ، وإحساس بالتقصير ، ورغبة فى التقريب ، ومن كان تواباً كان منكسراً لله ، ومن كان منكسرا أحبه الله .

وكان آكلا للطيبات ، لا يأكل من خبيث أبدا ... وأكل الحلال هو أول درجة فى سلم العروج إلى الله ... والذين يأكلون من حرام ، ويزعمون أنهم مقربون من الله هم قوم كذابون ، لأن من أكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به .

وكان فعالا للخيرات ، حياته كلها خير ، وذلك من أعظم ما يؤهل لحب الله تبارك وتعالى .

وعموماً كان صلى الله عليه وسلم حائزا لأعلى الدرجات وأعظم المؤهلات ، التى تجعله أحب الخلائق إلى الله .

وبذلك استحق أن يكون حبيباً للرحمن .

وعلينا إذا أردنا أن نكون على شىء من حب الله ، ولو ظلال من أنوار ذلك الحب ... علينا إذا أردنا أن نستظل بنور الله أن نحاول ما استطعنا ما كان يفعله النبى صلى الله علية وسلم .

علينا أن نعيش بقلوب سليمة ، وأن نخالق الناس بخلق حسن ، وأن ندمن التوبة ، وأن نأكل من الطيبات ، وأن نسارع إلى الخيرات وأن نتتبع خطواته فى كل شىء .

ويوم نفعل ذلك ، حق لنا أن نزعم أن الله يحبنا ، ويوم لا نفعل .. فلا يحل لنا أن نزعم من ذلك شيئا ؟

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

حديث العبقرية

بين علم الاجتماع وعلم النفس

للاستاذ حسنى طه شكيبانه

العبقرية وظاهرة الأديان فى الاجتماع :

فى نظرية من نظريات علم الاجتماع .. أن المجتمع هو الذى يملى سيطرته على الناس فيفرض عليهم التقاليد ، ويدفعهم فى تيار المعيشة والتطور لايكادون يخرجون عنه ؛ حتى إذا ما أصبحت التقاليد بالية لا تساير التطور ، ولا تشبع رغبات الناس ؛ وضع المجتمع خطوطاً عريضة لتقاليد جديدة أكفى لحاجات المجتمع وضروب متعته ؛ فما تزال هذه التقاليد الجديدة تملى إرادتها على الناس ، وتصرخ فيهم حتى يستجيب لها واحد منهم ليصوغها فى صورة قوانين تصلح من شأن المجتمع أو تعطيه الثقة بنفسه ، وتزيد من رضاه وإسعاده .

والمثال خير تفسير لذلك ...

تقاليد كالكرم وحفظ الجوار على الحرمات ، والإيثار وغيرها تشيع فى المجتمع العربى . وتقل فى المجتمع الغربى . . .

وما ذلك إلا لأن المجتمع العربى لا يجد السكينة والأمن والسعادة إلا إذا شاعت فيه هذه التقاليد ؛ ومن ثم أملى المجتمع العربى على المفكرين والأدباء صوته فانطلقت حناجرهم بتقديس هذه العادات والتغنى بها وتخليدها فى فلسفة حياته ، وأناشيد متعته ، حتى صارت جزءاً من كيانه .

ولو لم يجد فيها المجتمع رضاه لنبذها ولقاومها ولنشد غيرها . . .

وكذلك كل ظواهر المجتمع ...

وأما المجتمع الغربى ففيه من مظاهر الاستقلال الذاتى ، والعزلة ما لا يحبذ الكرم

وفيه من الحرية مالا يحتم الحفاظ على الحرمات ؛ فالمرأة أن تتصرف بكامل حريتها كالرجل ولا شأن لأحد بها ما دامت قد بلغت رشدها ، ومن ثم شاع التحرر من كثير من مظاهر الفضيلة وانخرطوا فى سلك الإباحية كثيراً . . .

وبالتالى لم تجد هذه التقاليد الشائعة فى مجتمعنا العربى صوتاً لها فى المجتمع الأوربى ؛ فأصبح من المألوف — مثلا — أن تزور بيتاً غريباً قبيل الطعام لضرورة ما فلا تجد ترحيباً بك بحجة أنهم لم يستعدوا لك ، ولكن الحقيقة هى فى طبيعة الكرم التى لا تجد سبيلا إلى قلوبهم ، وإلا لشاركوك ما عندهم أو على سبيل المجاملة . . أما العربى فعلى عكس ذلك يؤثرك بأحسن ما لديه ، ويحتال لدعوتك متى سنحت له الفرصة ، ويعتبر ذلك سعادة يتغنى بها . . .

يا ضيفنا . . لو زرتنا . . لوجدتنا . . . نحن الضيوف ، وأنت رب المنزل . . . فتلك تقاليد وجد المجتمع سعادته فيها فأملاها على المفكرين والأدباء وعلى عكس ذلك وجد الغرب سعادته فكان أدب وتقليد آخر . . .

العباقرة والمجتمع :

ويأتى هنا حديث العباقرة والقادة . . قادة المجتمع فى الفن والأدب والحكم وضروب الإصلاح فهؤلاء لا يخلقون انفسهم وإنما يخلقهم المجتمع : فما كان لهم أن يظهروا على مسرح الحياة وضمير التاريخ ، ويتصدروا المحافل إلا لأن المجتمع أملى حاجاته فاستمعوا هم إليه فكان ضميناً لهم أن يجعل منهم أكثر من أناسى عاديين . . أن يجعل منهم قادة وزعماء . . إذ لو لم يكن المجتمع فى حاجة لهذه التقاليد لما ظهر دعاتها ، ولوجدوا من القهر وسطوة المجتمع ما يبددهم ويقبر أسماءهم معهم . . .

وخذ لذلك مثلا آخر . . .

دعوة — كالشيوعية — فى الشرق تعارض تقاليد مجتمعاته ومقدساته وعقائده ، ومن ثم لا تجد أنصاراً لها ، وأنصارها أغرار لا يفقهون حكمة الحياة كما رسمتها الأديان ، ولا تجد قادة لها لأن المجتمع يغنى بتقاليده عن تقاليد لا تسعده ولا تقنعه . . فالمجتمع العربى يقدس حرية الفرد ، ويحافظ على كيان الجماعة ويحترم الملكية الفردية وقوانين الربح والإنتاج بحيث تفتح أبواب الطموح ، والمنافسة الكريمة ، ليعطى كل فرد آخر رشفة فى رحيق الفكر ليرقى هو ، وليدفع بها موكب التطور الجماعى . . . كما يقدس ثمرات الأديان من الإيمان بالله العظيم خالقاً رازقاً ، ومدبراً حكيما ،

والايمان بالبعث والخلود والثواب والعقاب والإيمان بالضمير الحى خفقة من كيان الحياة لا شرارة من تيار الكهرباء فى الجسد المادى ، أو من تفاعل العناصر ، كما تزعم الشيوعية فى مفاهيمها الماديه الجامدة ، ومن ثم فالمجتمع يرفضها ، ويقضى على أفكارها فى عقول المغرورين بها ، إما بالإقناع أو بالاعتزال عن موكب الحياة الحى . . .

وهكذ يسند علماء الاجتماع نظريتهم تلك . . فما وضع الدين عندهم ؟ . .

الدين والمجتمع :

والدين — كل دين — كأى من الظواهر الاجتماعية لاشيوع لتقاليده وعقائده ولا ظهور لقادته من نبي ورسول ، أو واعظ ومرشد ما لم يجد المجتمع سعادته ورضاه فى هذه التقاليد فيسهل على الداعية الروحى أن يسطر للناس ما وعاه ضمير المجتمع ، ومن ثم ظهر الإسلام — مثلا — فى المجتمع المدنى ، ولم ينتشر فى المجتمع المكى من قبل ، وكذلك فى الأديان الأخرى فى المجتمعات المختلفة .

وعلماء الإجتماع — لا يتعرضون — للخالق العظيم — كمصدر للتشريع الدينى الذى يأتى به الرسول ، ولا يتحدثون عنه — سبحانه — كخالق للكون ، فذلك مبحث علم الفلسفة — وهو خارج عن مجال علمهم ، ويدعون ذلك لكل عقل يفهم ما يشاء ، وإنما يهمهم أن يؤكدوا شيوع الأديان حيث تبحث المجتمعات عن مبادىء وعادات غير ما هى عليه فينجح النبي بقدر هذه الحاجة فى نشر تعاليمه التى ماهى إلا صورة لرغبات المجتمع وحاجاته المتطوره ...

واسنا هنا فى معرض الرد عليهم بقدر ما نسجل مقياسهم ونظريتهم فى العبقرى والقائد والمصلح والزعيم ، وحسبنا ذلك فى إلزامهم الحجة فى منطق الحق بشخصية رسول الإنسانية الكريم وعبقريته التى لا تجد لها مثيلا — من قبل ومن بعد .

والواقع أنهم يقررون مبدأ سليما فى شيوع الأديان بقدر حاجة المجتمع ورغباته فقد جاء كل نبي لقومه بما يسعدهم ويصلحهم ، وما هم فى حاجة حقيقية إليه ...

بيد أنه من غير المسلم — تاريخياً — أن المجتمع كان يقضى على النبي لدعوته بغير ما يحب المجتمع فذلك إن حدث فى بعض المجتمعات اليهودية مع أنبيائهم حيث قتلوا الكثيرين منهم ؛ إلا أنه ليس القاعدة العامة .. بل القاعدة ضياع هذه المجتمعات كان لإصرارهم على تقاليدهم البالية ، ورفضهم مبادىء الأنبياء ومثلهم ، وقد كان فيها

دون سواها النجاة ، والهناءة ، فكذلك تدمرت حضارة فرعون فى مصر ، وتقوض سلطان قارون ، ودالت دولة أصحاب شعيب وصالح وهود ، ونجت المبادىء فى أنبيائها ومن تبعهم . . .

وذلك عكس ما يقدر علماء الاجتماع فى نظريتهم السالفة . . .

ولكن لنترك ذلك ولنمض معهم وقتاً آخر . . .

مكانة العباقرة :

وعلماء الإجتماع لايغمطون العباقرة حقهم ، فهم وإن لم يصنعوا مجتمعاتهم لكن لهم رأياً وألمعية وذكاء وصفاء يقرءون به ضمير المجتمع فى حاجاته ، وعندهم المقدرة البلاغية الأدبية فى صياغة هذه التقاليد مبادىء يرضى عنها الناس ويرتاحون إليها فلهم ميزة الإدراك والإحاطة والتسجيل . ولهم كرامة لا تنكر . . .

وبقدر تمتع القائد بقدرات خطابية وإقناعية وملكات فى الحفظ أو التشريع أو الفهم الاقتصادى أو الحربى أو غير ذلك بقدر نجاحه فى إرساء هذه القواعد شعارات للناس بعد ما كانت فى ضمير المجتمع . . .

الاسلام ومقاييس علم الاجتماع :

وتطبيقاً لنظرية علم الاجتماع هذه ، فالإسلام نبع فى المجتمع العربى لأنه كان فى حاجة إليه ، ثم انتشر فى آفاق العالم حيث كانت هذه الآفاق تتطلع إليه وتبحث عنه فانتشر فى ثلثى العالم بعد ما شق بمبادئه التى كانت تنظم حياته وتقوده فى موكب التطور بين الجمود والضلال والفوضى ، فحيثما سعد المجتمع بمبادىء الإسلام رسخت فيه مبادئه فى شرق وفى غرب ، فكان هذا الذيوع والانتشار فى أقل من قرن من الزمان . . .

وهنا نسجل — بمنطق التاريخ — واستطراداً مع هذه النظرية .

أن العالم فى كثير من نواحيه كان يترقب فجر الإسلام بعد ليل طويل من ضلالات العقائد ، وفساد التقاليد ، وإلا فما كان لمجتمع سعيد بمبادئه أن يتخلى عنها إلى مبادىء غير هاما لم يجد فى هذ الجديد سعادة أجل وأروع .

ونتيجة لذلك — ينبغى — على رجال الاجتماع فى كل أمة ، وجنس ودين ، أن يدرسوا مبادىء الاسلام ليروا كيف دان لها الشرق والغرب فى سهولة وطواعية

بل كانت وحى الغرب حين صاغ الكثير من فقهه فى الحياة ونظمه وتقاليده وعزيمته فى موكب التطور ، حيث تلقى ذلك فى الشرق الاسلامى ومعاهده ، فى قرطبة وبغداد ودمشق والقاهرة . . .

وسيجدون — حقا وصدقا — أنها مبادىء الخلود والرفعة ، وإنها مثاليات الحياة لكل عصر ومكان .

فإننا فى عصر ينبغى أن تأخذ المبادىء طريقها فى قيادة الحياة قبل أن تقودها الأنانية فى طريق الدمار . وحينئذ سيقتنعون بفشل أو قصور كل المبادىء الوضعية أن تجلب السلام والرخاء للعالم ، وأن كمال الحياة إنما يجد الصورة المثالية فى رسالة ترى الإنسانية رابطة مقدسة بين كل إنسان وإنسان مهما اختلف لونه وشكله وجنسه ووطنه ، وأن الناس جميعاً لأب وأم ، وعليهم أن يتعاونوا فى الخير والحق ، وأن يمسكوا عن الشر والعدوان . . .

وتلك بعض مبادىء الإسلام . . . فهل آن لعلماء الاجتماع أن يعطوا شهادة الحق فى جانب تقاليده ومبادئه ؟ ! .

سيقول قائلهم : إننا نترك للمجتمعات تقرر ما تحتاجه من المبادىء وتختار . .

ولكنهم ينسون مكر الليل والنهار فى تشويه حقائق الإسلام وتزويرها على المجتمع الغربى ، ثم ينسون أن مبادىء الغرب كلها فشلت أن توفر الهدوء للعالم فدمرته فى حربين عالميتين بينهما أقل من ربع قرن وهى هى ما تزال تدفع موكب التطور لإتقان وسائل الدمار لا أدوات السلام والرخاء . . .

وإن هذا ليلقى التبعة كبيرة على رجال الإسلام أن يبلغوه فى صفائه لهذا العالم فى شرق وفى غرب فهو مرفأ الأمان ، ومشرق نور الحياة ، ومناط التطور .

والآن أين هذا المقياس من شخصية المصطفى الكريم صلوات الله وسلامه عليه ؟

شخصية الرسول وعلم الاجتماع :

إن مراجعة يسيرة لسيرة الرسول الكريم ومبادئه وآثاره فى العالمين تقنع كل ذى ضمير من أصحاب علم الاجتماع ، وكل منصف فى الحياة بأن الرسول الكريم نسيج وحده من قبل ومن بعد ، فلا يدانيه نبى ولا فيلسوف ولا مصلح ولا قائد

ولا زعيم فى شخصيته ، وفقهه للحياة والمجتمع وتطوره بالمجتمع إلى صورة مثالية بعد صورة من الهمجية والفوضى كبيرة . . .

فكل فيلسوف قبله أو بعده لم يعط صورة للوجود كما جاء بها المصطفى الكريم .

ولم يعط من مثاليات الأخلاق وجماع الفضائل كما رسمها محمد الكريم .

ولم يطبق ذلك على نفسه ويحمل عليها مجتمعه كما فعل المصطفى الكريم .

وكل زعيم قبله وبعده لم يؤثر عنه مثل ماقعله محمد الكريم فى قيادة أمة من البداوة والجهالة إلى أمة المجد والخلود والتاريخ . أمة ليس لها كيان ، فكان لها بمحمد الكريم ومثالياته أى شأن مع الحياة وإلى الأبد . .

وكل نبى من قبله لم يأت بمثل ما جاء به محمد الكريم . . جاءوا من قبله لشعوب بعينها ، وأزمنة محدودة ، وجاء هو لكل إنسان ولكل زمن ... جاء موسى لينقذ بنى إسرائيل ويحررهم من عبوديتهم لفرعون وطغيانه ، وجاء من بعده داود وسليمان وإيليا وذكريا ويحيى وأشعياء ويوشع ، وكلهم وغيرهم فى بنى إسرائيل وحدهم هداة ومرشدين ، وجاء عيسى كلمة الله وروح منه هادياً لخراف بيت إسرائيل الضالة كما يقول فى الإنجيل ، وما جاء بتشريع جديد بعد التوراة بل ليكمل الناموس فيها .

أما محمد الكريم فجاء للناس كافة بشيراً ونذيراً ، وجاء رحمة للعالمين وسراجا منيراً ، ولكل قوم هاد ، وبقرآن محفوظ إلى يوم الدين تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ولكل إنسان كريم فى هذه الحياة ، ولو كان أخو موسى حيا فى زمنه ما وسعه إلا أن يتبعه ، وجاء بتقاليد الكمال لكل عصر ومكان تنتظم الأبيض والأسود ، والأصفر والأحمر فى نطاق الأخوة والمساواه والمرحمة وخير الناس لديه أنفعهم للناس ، وأبرهم بهم ، ودعوته معلنة : أيها الناس : إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم .

الدين والحياة

للأستاذ حامد محمود الزفرى

والثقافة هى التجربة الفكرية المشبعة بروافد المعارف والعلوم والبصر بأقوى السبل وأنضج الطرق لاستخدامها فى مصلحة الفرد والجماعة والإنسانية سواء منها الجانب الباطنى ، النفسى والوجدانى ، أو السلوك الظاهرى والتعامل الاجتماعى والاقتصادى ، وحقيقة هذا الاتجاه فى الإنسان وجدت بوجوده وتطورت بنموه خلال القرون والأحداث وبسببه قامت الثورات وعدلت الاتجاهات .

وإذا كانت قوة الأمة تعبر عن وجودها فى الجيش فإن عقل الشعب وتفكيره يوجد فيما يتعلمه ويتثقف به ، ومن الأهمية بمكان أن نلقى نظرة خاطفة على سير التيارات الفكرية فيما نحن بصدده حتى نرى مدى ما ترتبط به هذه التيارات من التعليم أو التوجيه الدينى من جهة والعروبة من جهة ثانية وأثر الطوارىء الزاحفة من جهة ثالثة .

وعلى أية حال فإن الجمود الذى أصاب المجتمع العربى فى العصر التركى لم يخلف لنا سوى ترهات وزيف لفظى لا يحمل معنى ،وليس له مغزى ، هذا فضلا عن الفقر المدقع فى هذا الاتجاه بالذات .

ولم تكد تصل الحملة الفرنسية فى القرن الثامن عشر إلى مصر حتى كونت مجمعاً علميا أخذ ينقب ويبحث فى الآثار والمخلفات وتم له بعض ما أراد ولكن هذه الثورات كانت وكزة لنا وإيقاظا لهممنا فأخذنا نتطلع ونرقب .

وبتولى محمد على حكم مصر أخذ يدبر لدوام ملكه وقوة جيشه الذى سيعتمد عليه فى التهام بعض أملاك الخلافة ، وأن ذلك لن يكون إلا بحماية جيشه من أخطاو الأمراض وإرادة الإثراء وإصلاح الأراضى وريها وصرفها .من ذلك وغيره ولأجل كل ما يرغب فى تحقيقه أخذ يرسل البعوث إلى أوربا ولم يكن بمصر دار تعليم يعتمد عليها سوى الأزهر الشريف الذى ظل خالداً رغم أنف الخطوب والأزمات .

وتحرك النائم وأخذ ينفض الغبار عن نفسه وأخذ العالم العربى تفد إليه أسراب

من المعارف والترجمات . وأخذ رجالات الطليعة يعملون فى دأب وصمت ، حتى إذا ما تكالب علينا الاستعمار وتقاتل علينا نحن الغنيمة الدسمة الفرنسيون والانجليز ، وخابت الحملة الفرنسية ورجعت مقهورة مدحورة أمام الاستبسال العربى وعوامل الشعب الداخلية ، وأمام تدبير الماكرة سيدة البحار أنذاك . ولظروفها الداخلية فى فرنسا .

رغم هذا الانكسار الذى منيت به الحملة فى المجال السياسى المتسلط فقد سبقت انجلترا المستعمرة فى المجال التعليمى داخل مصر ، وخاف الانجليز مغبة تأخرهم هذا وتقدم الفرنسيين فلم يسعهم إسعافا لموقفهم إلا أن يفرضوا اللغة الإنجليزية على جميع مواد الدراسة فى المدارس المصرية وثار الشعب وتيقظ الوعى لهذه اللعبة الخطرة التى يقوم بها الاستعمار محاولا بها القضاء على فكر الأمة وتراثها وهو ما تقوم به فرنسا فى جميع مستعمراتها لتقضى على أصالة الشعب وتفتت تفكيره وتميت شخصيته .

وكنا فى صراع عنيف مع الظروف والمستعمر ولكن أصالة الفكر العربى وإنسانية أسلوبه ، وعالمية رسالته حمته من هذا الشر المستطير وتلك الخطة الخبيثة ، وقامت الجامعة المصرية ، والمجامع العربية فى مصر ودمشق وغيرها وبانت طلائع الزحف الثقافى وبناة التفكير العربى وأخذت الكنوز الثقافية التى عمرت بها مكتبات أوربا وما عثر عليه المستشرقون من تراثنا الضخم ، أخذت روافد المعرفة من بعثات وترجمة وإحياء وبعث واستشراق وإقامة جامعات ومجامع ، أخذت هذه الروافد نصب فى نهر التفكير العربى الخالد المحفوف بضفتى الأزهر الشريف والتراث الإسلامى الكبير .

ولكن الاستعمار وألاعيبه لم يدع الفرصة ولم يتح الظروف للنمو المتكامل من جهة ، وسوء الحالة السياسية والجشع الاجتماعى والإقطاع وفساد القائمين على الأمور من جهة أخرى ، هذه العوامل هى الأخرى كان لها تأثير على مجرى النهر فتارة تعكر وآنا تلوى عنانه ، ومرة تفسده ، وطورا تأخذه إلى ساحة اللهو والمجون والعبث والفجور .

ورغم هذا كله فقد كانت هناك بقية هى معدن الشعب الأصيل ومعناه النبيل ما تزال تمسك نفسها وتحمى معالمها وتعض على تراثها بالناجز والناب ، وأخذت تقتضى أثر النابهين من أبناء الأمة الإسلامية وتسير على هديهم وتترسم خطاهم وقد

اتسمت هذه البقية بالبحث الجاد فى المعارف العربيه والمثل الدينية وهم كثيرون ودارسون واعيون ، من منابع الأفغانى ، والإمام محمد عبده والكواكبى والوهابيه ورشيد رضا وآل عبد الرازق وغيرهم على هذا الضرب ساروا فى دروبهم ومن سار على الدرب وصل كما يقولون . ولكن الصراع بين التيارات العربية وبين الثقافة والمعارف العربية الإسلامية لما يزل شديد الأوار ومستعر النار. فتارة نرى الخروج على الدين وريقة التعاليم الإسلامية ضربا من التقدم ودليلا على التمدن والتطور ، ومرة نسمع أن العرب عيال على الثقافات الأوربية القديمة (الإغريقية) وأنهم إنما كانوا وسطاء وحمالين . حملوا من الغابرين ليسلموا إلى اللاحقين . وأنهم بطبيعتهم جزئيون خياليون . ليسوا من أرباب العمق التفكيرى أو التفلسف العقلى أو الاتجاه العملى . الخ هذه الدعايات التى أطلق أبواقها المستشرقون لخدمة دولهم وإرضاء لغريزة الاستعلاء ، وعلى الأخص المستشرق الألمانى (ديبور) فى كتابه الذى قام بترجمته الدكتور أبو ريده . وأخلص بعض المستغربين لدعايات أساتذتهم فرددوا ما أرادوا ، بل إن بعضهم بلغ به علمه الابداعى الفياض إلى تقسيم الجنس البشرى إلى غربى إبداعى خلاق وشرقى جامد متأخر . الأول آرى عميق الفكر والثانى سامى خيالى غيبى .

كل هذا يقال وأكثر منه بينما الكنوز العربية والمعارف الإسلاميه تعمر بها جامعات أوربا ومكتبات ليدن وباريس وغيرها . ولكن الأغرار الذين خدعتهم مظاهر المدنية البراقة . ويا ليت معارفها ولكن لباسها وزينتها وعطورها وسياراتها. الخ هذه المظاهر الترفيهية ، وقادتهم أغراض الاستعمار وجرفهم التيار المغرض دون شعور بالمسئولية حيال أنفسهم وأمتهم وحيال المعانى الإنسانية والغاية الكونية الكبرى . ولقد جرهم كل هذا إلى الانتقاص من ذواتهم والتبرم بآبائهم والإعراض عن مقوماتهم والغفلة عن أصلهم ودورهم فى بناء المدنية وسير الحياة .

ونستطيع أن نقول : إن هذا القطاع التاريخى من حياة أمتنا العربية سارت فيه المعارف والأفكار فى تيه وحيرة وأخذ ورد فلم يتبلور اتجاه معين أو خطة مرتبطة . بل غرب وأتباع له فى المعرفة والأسلوب وحتى الفنون ، وقديم وأتباع له فى المعاوف والطريقة وبين هذين التيارين وجدت . . . قلة بعضها منصف والآخر متحيز وعلى كل فقد دبت الحياة ونمت المعرفة وسار الركب بما شاءت له الظروف

والأحداث وكل حزب بما لديهم فرحون وكان هذا النشاط البشرى المختلط هو الآخر شأنه شأن الكائن الحى بحاجة إلى تعديل أو توجيه .

وبقيام الثورة العربية فى ٢٣ يوليو كان لا بد وأن تقيم اتجاهها التفكيرى وخطتها الثقافية على أساس تقدمى مرتبط بجذورها العربية وأصولها التاريخية وتفكيرها الإنسانى المحايد وغايتها المثالية وأهدافها الكونية الكبرى .

وفى ظل ذلك يمكن أن تقيم دعائم ثقافة عربية حديثة سداها التفاعل العصرى مع الأحداث الفكرية والكشوف العلمية ولحمتها الارتباط بمقوماتنا التاريخية والاعتقادية وهو شأن الثورات البناءة الهادفة والنامية الخالدة . ونكون بذلك قد قدمنا الدليل مرة ثانية على قوة اندفاعنا التقدمى وأصالة ذاتيتنا الخلاقة فى المجال العلمى وإخلاصنا وتفانينا فى خدمة الثقافة والمعرفة الإنسانية ودفعنا بعجلة التقدم نحو النور والسلام وحمينا مكاسب الإنسان العلمية وتراثه الفكرى من أن ينهار أمام الاطماع والأنانية الاستعمارية من جانب الغرب أو التنمر للأخلاق والتسلط على المثاليات من شرق أوربا ومن لف لفهم .

إننا لا ننفك فى موقفنا التفكيرى عن التزاماتنا حيال المعتقدات والمثاليات فى المجال السياسى أو الاجتماعى أو التنظيمى العام للأفراد والجماعات والإنسانية عامة ؟

يتبع

المن والسلوى

للدكتور محمد وصفى

— ٢ —

المقارنة بين اللحم والسكر وبين ما سألته اليهود :

أراد بعضهم أن يفسر أن السمان والمادة السكرية على ماسألته اليهود من بقل وقثاء وفوم وعدس وبصل فقال القرطبي : واختلف فى الوجوه التى توجب فضل المن والسلوى على الشىء الذى طلبوه وهى خمسة (الأول) أن البقول لما كانت لا خطر لها بالنسبة إلى المن والسلوى كانا أفضل . قاله الزجاج ، (الثانى) لما كان المن والسلوى طعاما من الله عليهم وامرهم بأكله وكان فى استدامة أمر الله وشكر نعمته أجر وذخر فى الآخرة ، والذى طلبوه عاد من هذه الخصال كان أدنى فى هذا الوجه (الثالث) لما كان ما من الله عليهم أطيب وألذ من الذى سألوه ، كان ما سألوه أدنى من هذا الوجه لا محالة (الرابع) لما كان ما أعطوا لا كلفة فيه ولا تعب والذى طلبوه لا يجىء إلا بالحرث والزراعة والتعب كان أتى ، (الخامس) لما كان ما ينزل عليهم لا مرية فى حله وخلوصه لنزوله من عند الله ، والحبوب والأرض يتحللها البيوع والغصوب وتدخلها الشبة ، كانت أدنى من هذا الوجه (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) .

ولعلك ترى معنا مقدار التكلف فى هذا التفضيل الذى لا يرتكز على أى أساس علمى .

والله تعالى هو الذى خلق اللحوم وأنواع البقول والخضروات والفاكهة لتكون مجتمعة أساسا صالحا لغذاء الإنسان ، وهو الذى خلق البقول والفاكهة والخضروات وجعل ما يتخلف بعد هضمها وتمثيلها رماد قلوى يعادل ما يتخلف من هضم المواد البروتينيه والمواد الكربوهيدراتية المركزة من أحماض الفسفوريك والكبريتيك وسائر الأحماض الأمينية Amino Acids

وعلم الله أن البقول والخضروات والفاكهة تحتوى كذلك على ألياف سليولوزية لا يمكن الإستغناء عنها ، وأن من مميزاتها أنها تمتص مقدارا من الماء يحفظ رطوبة الكتلة البرازية ومرونتها ، وفى هذا ما يساعد على تنبيه وتنظيم الحركة الموجية

الدوريه للأمعاء ، ويسهل انقباض عضلات الجزء السفلى من الأمعاء وإرتخائها وإنزلاق ما تحتوى عليه خارج الجسم .

وأنه إذا أراد الإنسان أن يتقى شر ما يسببه الإكثار من المواد البروتينية والكربوهيدرانية المركزة فعليه أن يحرص على أن يكون الجزء الأكبر من طعامه (أى نحو ٨٠ ٪ منتق من المأكولات التى يتخلف منها ذلك الرماد القلوى .

ونرى من المناسب أن نذكر هنا مختصراً لأهم الفروق الصالحة للمقارنة بين لحم الطير والمادة السكرية ، وبين تركيب بعض الأطعمة التى جاء ذكرها فى الآية الكريمة :

الغـــذاء	الماء	البروتين	الدهن	الكربوهيدرات	أملاح معدنية	القيمة الحرارية لكل رطل	فيتامين أ + ء	فيتامين ب ١ + ب ٢	فيتامين ء
لحم الطير (دجاج)	٦٦,٨	٢١	١١	—	١,٢	٧٨٠	+	+	—
سكر نقى	—	—	—	١٠٠	—	١٨٤٠	—	—	—
بقل (فول)	١٥	٣٣	١٨	٣٢	٢	٢٢٠٠	—	++	—
قثاء (خيار)	٩٢	٠,٨	٠,٢	٧	١	٩٠	+	—	++
عدس	١٦	٤٢	٢	٣٨	١	١١٥٠	—	++	—
بصل	٨٧,٦	١,٢	٠,٣	٩,٦	٠,٥	٢١٥	—	+	+
قدم (خبز)	٤٣	٧,٣	٠,٥	٤٨	١,٢	٦٩٩	—	++	—

هذا مع قول بعضهم أن البقل هو أطايب البقول ، وأن القثا وهى القرع الذى يعد من الخضر السريعة الهضم التى تناسب أصحاب المعد الضعيفة والناقهين من الأمراض المضنية .

ومع قول الطبرى أن بعضهم (أى من أهل التأويل) أن العزم هو الحنطة والخبز والحب الذى تختبره الناس ، وهو قول عطاء ، ومجاهد والحسن وأبى مالك والسدى وقتادة وابن زيد ، وعن ابن عباس أن الثوم هو الحنطة بلسان بنى هاشم .

وإذا كان الثوم هو الثوم فالثوم من التوابل الفاتحة للشهية صدرى خافض للحرارة

مدر للبول مفيد فى الأوبئة والنزلات المعوية ويحضر منه الأنيدول Anidol .

الذى هو خير هو السكنى فى طور سيناء :

وعما أثبتناه من كون السمان والعسل ليس من الناحية الطبية الغذائية أفضل من البقل والقثاء والثوم والعدس والبصل ، إذن يجب أن نصرف النظر عن أن هذا التفضيل مقصود منه المقارنة بين هذه الألوان من الأطعمة .

فالذى هو خير هو السكن فى تلك البقعة المقدسة التى أقسم بها الله تعالى بقوله : والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين (٩٥ : ١ — ٣) وهى المكان الذى علم الله أنه كان يناسب قوم موسى فى ذلك الوقت حيث الحرية الشاملة ، وهى المكان للعبادة الخالصة والذى هو أدنى هو سكنى الأمصار التى تزدحم غالبا بشتى المغريات والفتن والتحاسد ، وما قد يشغل عن العبادة ، هذا بجانب ماء المدن والأمصار من أموال يطمع فيها الغزاة والفاتحون .

وكأنى بموسى وقد سألوه أنواعا خاصة لا يصلح زراعتها فى التربة الصحراوية إلا وقد علم أنهم لا يعنون الطعام فى حد ذاته وإنما كنوا فى رغبتهم فى تغيير البيئة والمكان الذى اختاره الله لهم مناسبا لحالتهم فى ذلك الوقت .

وهذا المعنى الذى فهمه موسى قد تكرر من قبل مثله فى طلب آخر كان موسى له شأن فيه حيث قالت ابنة شيخ مدين لأبيها فى موسى . . . يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين (٢٨ . ٢٦) فأدرك شيخ مدين فى الحال قصد ابنته الحقيق الذى كمنت عنه ، ولذلك قال شعيب . . . أنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين . . . (٢٨ . ٢٧) لقد قالت (يا أبت استأجره) وهى تعنى زوجنى له ، وكذلك قالت اليهود . . . (فأدع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض . . .) وهى تعنى (أخرجنا من طور سيناء) ، ولذلك ناسب تغييرهم المكان الذى ناسب حالتهم والذى كان بعيداً عن طمع الطامعين ، والغزاة المعتدين أن تسرى عليهم سنة الله فى خلقه (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله) ، فذلت نفوسهم فى سبيل طلب الأمان الزائف والأعراض الزائلة للحياة الدنيا وحرموا ما أسبغ الله عليهم من نعمة فى البيئة الطيبه التى كانت أصلح لهم من غيرها .

وإن لمن غير المعقول أن يكون مجرد طلب تغيير الطعام سببا إلى الذلة والمسكنة وإلى غضب الله .

كلوا من طيبات ما رزقناكم :

وإننا لنعتقد أن قوله تعالى : (كلوا من طيبات ما رزقناكم) لا يعود إلى المن والسلوى ، وإنما هو من قبيل عد النعم التى كان الله قد من بها على إسرائيل ، وهى : (١) تظليل أنعام (٢) ونزول المن والسلوى (٣) والتفضل عليهم بالطيبات من الرزق لحياة الإنسان ، فقوله تعالى (كلوا) تقديره (وقلنا كلوا) أى من ما جلبتموه معكم من ألغام ومن طيور التى تستوطن أرضكم ومن الحبوب التى تخرجها الأرض لكم ويسقيها الماء الذى ينزل الله لكم من السحب ومن سائر ما تخرج لكم الأرض مما تصلح لأبنائه الأرض الصفراء كالزيتون وغيره .

المن والسلوى معنويات :

وبناء على ما تقدم نرى أن المن والسلوى ليسا من الطعام ، ويقال من عليه منا أنعم واصطنع عنده صنيعة ومنة ، فالمن مصدر يعم جميع ما من الله على بنى إسرائيل فى طور سيناء من حياة رغيدة طيبة تناسب حالته .

ولا يؤخذ بقول اللغويين من أن المن كل ما ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو وينعقد عسلا ، فقد أخذ هذا المعنى عند المفسرين كما قيل فى اللغة كذلك أن السلوى والعسل ، واتخذ هذا قول فى تفسير السلوى فى الاية الكريمة .

وأما السلوى فى الآية الكريمة فمعنا أن الله تفضل على بنى إسرائيل كذلك فى ذلك المكان فأنزل عليهم ما من شأن أن يذهب الحزن ويزيل الهم ويريح البال .

الإنسان الكامل عند الجيلى

للاستاذ عبد اللطيف محمد العبدى

تعرضت فى العدد الماضى لنظرية الإنسان الكامل عند الجيلى ، وتعرفنا إلى أهم خصائص تلك النظرية ، وهى تبين لنا إلى أى حد قد تأثر فيها « عبد الكريم الجيلى » بالشيخ الأكبر « ابن عربى » ، فقد استلهم الجيلى منه نظريته فى وحدة الوجود ونظريته فى الإنسان الكامل ، وشاركه القول فى نظريات أخرى مثل القول بوحدة الأديان . فالصلة بين الجيلى والشيخ الأكبر وثيقة جداً . ولهذا عد الجيلى من أكبر شراحه وتابعه فى العصر المتأخر . وعلى هذا يعد ابن عربى المصدر المباشر لنظريات الجيلى ، وما عداه من مصادر فهى ثانوية وغير مباشرة .

ونحن نريد الآن أن نتعرف إلى بعض هذه المصادر التى ذهب الباحثون والمستشرقون إلى رد هذه النظرية إليها ، وسوف نقصر الحديث على بعضها دون أن نعرض لها جميعها . وأهم هذه المصادر هو نظرية الفيوضات عند « أفلوطين » . فقد لعبت هذه النظرية دوراً كبيراً فى الفكر الإسلامى ، وكان لها تأثيرها فى كثير من الفلاسفة الإسلاميين والصوفية . وهى تذهب إلى أن « الواحد » أو المبدأ الأول يصدر عنه حين يعلم ذاته « العقل » أو المبدأ الثانى ، وعنه تصدر النفس الكلية مصدر الكثرة والتعدد فى العالمين الروحى والمادى . والحقيقة المحمدية ، حقيقة الإنسان الكامل ، تشبه العقل عند أفلوطين ، فهى أول فيض صدر عن الحق ، وأول موجود كان فى الخلق ، ثم عنها صدرت سائر الموجودات والتعينات ، ويقول الجيلى فى ذلك « أن الطلسم القطبى الذى هو محور فلك الأنموذج ، وقطب رحا الأنموذجات أول الطلسمات ، وبه قامت صور النفس » (ج ١ : ص ١٠) .

فالحقيقة المحمدية شبيهة بالعقل عند الأفلاطونية المحدثة إلى حد كبير ؟ ومن ناحيه أخرى تذهب الأفلاطونية المحدثة إلى أن « الحق » حينما عرف ذاته ، وانعكس على نفسه فاض عنه « العقل » ، وكذلك العقل حين يتأمل فى ذاته ويرتد إلى نفسه يصدر عنه النفس الكلية . . وهذه نقطة ذهب إليها الصوفية فيما بعد ،

فالله أحب أن يعرف ، والله تعالى حين علم نفسه علم العالم ، تخرج على الصورة كما يذهب إلى ذلك ابن عربى فى كتابه « عقلة المستوفز » . فالخلق أو الصدور إنما ينبثق عن المعرفة الذاتية للحق ، وهو وليد ارتداد الوعى أو العلم الإلهى على نفسه . ونحن نجد ثمة شبهاً قوياً بين هذا القول وبين ما قال به فيما بعد الفيلسوف الألمانى « هيجل » فالفكر أو المطلق عند هيجل يمر فى مراحل ثلاث ، يكون فى الأولى محاطاً بنوع من الغموض والسكون ، أى يكون فى داخل ذاته ، ثم حين يتأمل ذاته ، وينعكس الوعى على نفسه يصدر عنه الطبيعة ، وهى بمثابة النقيض للحالة الأولى ، حالة السكون التى لا تلبث أن تظهر وتخرج إلى الأعيان ، ثم يأتى بعد ذلك « المركب » الذى يجمع بين الوعى والطبيعه أو الخارج ، ويؤلف بين الفكر والطبيعة ، فيغدو الفكر وهو أكثر ملاء وأشد ثراء .

وتبدو هذه النظرية الهجليه أشد قربا وتشابها بنظرية الجيلى فى التجليات الإلهية . فالذات تكون فى أولى مراحلها فيما يسميه الجيلى « العماء » ، وهو يقصد به البساطة والتجرد التام عن جميع النسب والصفات ، ثم تتنزل من هذه البساطة ، وتخرج عن ذلك التجريد حتى يصبح الوجود المطلق عاقلا ومعقولا ، فتتجلى الذات على المخلوقات كل بقدر طاقته واستعداده لقبول التجليلات الإلهية .

* * *

غير أن الجيلى حين يصف لنا حقيقة الإنسان الكامل يتضح لنا من هذا الوصف تلك الوظيفة الدينية والميتافيزيقية لذلك الإنسان . فهو من ناحية يمثل الواسطة التى يصدر عنها الخلق ، وتفيض الصور والتعينات على الموجودات العلوية والسفلية ، ومن ناحية أخرى يعتبر الإنسان الكامل حقيقة مزدوجة الأطراف تجمع بين الحق والخلق ، تتصف بالصفات الإلهية ، وتختص بالخصائص الخلقية .

وإذا نظرنا إلى ذلك لوجدنا شبها قويا بين ما يطلق عليه الجيلى الإنسان « الكامل » وبين ما يطلق عليه المسيحيون اسم « الكلمة الإلهية » ، فإذا كانت « الحقيقة المحمدية » هى المصدر والأصل فى الأشياء جميعا ، وهى الروح السارى فى المخلوقات ، والحافظ للوجود ، وهى التى تتشخص فى النبى عليه السلام أو الولى الكامل ، فإن وجه الشبه يبدو قويا بين هذا الفهم وبين ما ذهب إليه القديس يوحنا والقديس بولس وعلماء اللاهوت المتأخرين من المسيحيين .

« فالكلمة المسيحية هى ابن الله وصورته ، والواسطة فى خلق العالم ، والروح السارى فى الكون ، المفيض للحياة والنور . وهى كذلك تظهر فى أتباع المسيح وتمدهم بالعلم والمعرفة[1] » وكذلك « الحقيقة المحمدية » عند الجيلى ، خلقها الله على صورته ، وعلى صورتها كان العالم ، وعنها صدرت المخلوقات ، وهى الحافظ عليه ، ولولاها لخرب العالم وأتى عليه الفساد . وهى مفيضة العلم والمعرفة فى قلب كل ولى ، ولازالت تظهر على مر العصور فى صور الأولياء الكاملين .

وحسبنا هذا عن مصادر تلك النظرية ، وإن كان ثمة أوجه شبه أخرى بينها وبين مصادر يهودية وفارسية من ناحية ، ومصادر شيعية واسماعيلية من ناحية أخرى .

***

هذا هو الإنسان الكامل عند الجيلى ، ذلك الإنسان الذى بلغ أرقى مايصل إليه الصوفى ، فتحقق بالتجليات الإلهية ، وسار فى الطريق إلى نهايته ، حتى بلغ مرتبة الفناء فى الله ، تلك المرتبة التى يطمح إليها كل صوفى . وعند الجيلى — كصوفى من أتباع وحدة الوجود — يكون الفناء عن كل ماعدا الله ، سواء الوجود أو الشهود أو الإرادة . وهذا هو الدور الذى يلعبه الفناء عند الصوفية من أمثال ابن عربى والقائلين بمذهب الوحدة الوجودية .

فالفناء هو غاية الصوفى ، ويتحقق الصوفى بذلك حين يدرك الوحدة الذاتية القائمة بينه وبين الحق ، ويعبر جلال الدين الرومى عن ذلك فيقول : « إن المسجد الذى بنى فى قلوب أولياء الله معبد للجميع لأن الله فيه » ويعبر أيضا عن تلك الوحدة القائمة بين العبد والرب ، أو بين الإنسان الكامل وبين الحق ، فى تصويره لقصة أبا يزيد البسطامى الذى خرج يوما إلى الحج فلقيه القطب فى الطريق ، وأمره بالعودة قائلا له :[2] »

إن الله هو ما تراه فى بعين قلبك . . لأنه اختارنى بيتا له

فثمة وحدة يستشعرها الصوفى الكامل بينه وبين الحق ، ومصدر هذه الوحدة هو ما تحقق به الإنسان الكامل من التجليات الإلهية . فكما له قائم على كمال معرفته بتلك التجليات ومن ثم معرفته بالحق واتحاده به اتحاداً يغنيه عن كل ماسواه .

---

(١) ابن القارض والحب الإلهى للدكتور مصطفى حلمى . ص : ٢٧٧ .
(٢) نيكولسون : فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص : ١٥٧

وكما يقول نيكولسون ليس مقصود الصوفية من ذلك التشبه بالله أو المشاركة بشخصه فى الطبيعة الإلهية ، بل أن يهرب من حجاز ذاتيته الباطلة ، حتى يتاتى له الاتحاد ثانية بالواحد الموجود المطلق . ومن هنا تبدو لنا « الأنا » أو الذات لا حقيقة لها بذاتها ، وهى لا تعدو أن تكون رسما فى الكلام ، أو نوع من خداع النفس . ومن هنا يتضح لنا أن الإنسان الكامل حتى يصل إلى كماله ، وحتى يتحقق بذلك الكمال إنما سبيله إلى الفناء فى الله ، بل الفناء هو السبيل وهو الغاية فى نفس الوقت . وهو حين يتحقق بإحدى تلك التجليات إنما يصطلم تحت ذلك التجلى فإذا كان المتجلى به عليه صفة ما فنى عما عداها من صفات عبدية ، ونسبت إليه هذه الصفة وهكذا فى سائر الصفات حتى يبلغها جميعا .

ومذهب كهذا يجد أشد أنواع النقد من فيلسوف « كإقبال » . فإقبال شيد بناء فلسفته على ما أسماه « بالذاتية » أو « خودى » وهو يعنى بها المركز الشعورى للحياة الذى يجمع شتات الأفكار والعواطف والرغبات ، وهى حين تتجلى فى الإنسان تسمى « ذاتا » أو « أنا » . وكل ما فى الحياة هو ذوات مفردة ، وليس ثمة مجال للكلية أو الوحدة .

وسوف نعرض فى أعداد قادمة لفلسفة إقبال فى « الذاتية » ، ونرى كيف كانت رد فعل للفلسفة الهجلية وفلسفات وحدة الوجود ، ونتبين فى غضون هذا كيف شاد نظريته فى الإنسان الكامل على أساس هذه الفلسفة .

« يتبع »

الاسلام فى رأى الغربيين

١ — ليس فى الإسلام كهنوت ولا سلطة كنيسية لكنه يضع للحكومات دستوراً يطابق روح الدين .

لواندر كوذرد

٢ — الدستور الاسلامى دستور شامل موحد بين الجميع من الرأس المتوج إلى أبسط الأشخاص لأنه يقوم على حكمة أنتجها أوسع العقول معرفة وعلما بهذه الحياة .

جيبون

٣ — القرآن دستور اجتماعى مدنى تجارى حربى قضائى وهو فوق ذلك كله قانون سماوى عظيم .

دافيد يوو

٤ — جميع حجج القرآن طبيعية ودالة على عناية الله بالبشر .

وليم موير

٥ — لو توخى الناس الحق لعلموا أن الدين الاسلامى هو الحل الوحيد لمشاكل الاشتراكية فهو الذى يتسع للغنى والفقير والقوى والضعيف جنبا لجنب .

أرثر هاملتون

٦ — من المسلم به أن محمدا لم يكتب ولم يقرأ ولم يتلق تعلما مدرسيا لكنه عرف منذ نشأته بالرجولة وسمو التفكير والأمانة وأصالة الرأى فى كل ما يقول وما يعمل وتاريخ حياته يثبت أنه كان دائما رجلا اجتماعيا وصديقا صدوقا ومخلصا ودودا .

كارليل

٧ — لا بد أن تعتنق الامبراطورية البريطانية النظم الاسلامية قبل نهاية هذا القرن ولو أن محمدا بعث فى هذا العصر وكانت له دكتاتورية على هذا العالم الحديث لنجح تماما فى حل جميع المشكلات العالمية وقاد العالم إلى السعادة والسلام .

برنارد شو

حسن محمود نوفل

نائب السادة الميرغنية الختمية بمحافظة سوهاج بجرجا

صدى ونور ودموع

ديوان للشاعر حسن كامل الصيرفى

عرضه ونقد الأستاذ سعيد حمزة مكرم المحامى

فى مطلع هذا القرن ، اتجه الشعر العربى فى طريق نموه وتطوره اتجاهات متباينة ، تميز كل منها بطابعه العام ، وسماته المحددة ، حتى ليمكن مع شىء من التجوز ، أن نطلق على بعضها مذهباً أو مدرسة ؛ كمدارس الديوان والمهجر وأبولو .

ويعنينا — هنا — أن نعرض للخطوط العريضة والعامة لجماعة أبولو كمدرسة أو كمذهب ، أو بالأقل كاتجاه فنى ، استقى من نبعه ، وتدفق مع تياره الشاعر حسن كامل الصيرفى ، حتى نستطيع على هدى هذه الأضواء أن نمضى مع الشاعر فى رحلته المثيرة ، عبر عالمه أو عبر ديوانه (صدى ونور ودموع) !

يقول الأستاذ مصطفى السحرتى — وهو أحد أبناء جماعة أبولو النابهين : (. . . وقد اختلف الكتاب والنقاد فيما إذا كانت هذه الجماعة مدرسة لها مذهب ، والذى أراه أنها كانت مدرسة جديدة تدين بالمذهب الفنى ، وإن اختلف المنضمون إليها فى المزاج ، وتفاوتوا فى الثقافة ، كانت مدرسة متمردة على شعراء التقليد ، وعلى شعراء الفكرة ، متمردة على الزعامات الأدبية ، وعلى الأسماء الجهيرة ، وقد جمعتهم الموهبة الأدبية ، ونهلوا من آثار الفن الصافية ، كما جمعتهم السماحة والحرية والطلاقة وروح الجدة والاصالة ، ووحدتهم الفكرة ، فكرة الإعراب عن نوازعهم ، وخلجات نفوسهم فى إخلاص وصدق ونضارة وإشراق ، لا عهد للعربية بها ، فكان لهم شعرهم العاطفى والوجدانى الجديد الذى لم تعرفه جماعة الكلاسيكية الجديدة من أمثال شوقى وحافظ ، ولا الشعراء العقلانيين من أمثال العقاد والمازنى وغيرهم) .

وقد عرف شعر مدرسة أبولو بخصوبة نزعاته العاطفية والتأملية والاجتماعية والإنسانية ، ويقول الأستاذ السحرتى : إن شعر حسن كامل الصيرفى حافل بشعر التأمل ، وهذا حق ، نضيف إليه حقاً آخر — فى نظرنا بالأقل — هو أن شعر التأمل عند صاحب (صدى ونور ودموع) من أجود إن لم يكن أجود شعر الديون !

والإنسان المتأمل عادة ، يتروى فى تعبيره ، كما يتروى فى تفكيره فتنساب كلماته

هادئة عميقة ، وأحياناً هامسة ، وهكذا يفعل حسن كامل الصيرفى فى تأملاته حتى لكأنه قد خلا إليك يحدثك ويناجيك !!

فى قصيدة « رجع الصدى » يعانى الشاعر من تدال بنات الخيال !! وقد أوشك أن « يطوى الصباح الحلم » وتحس كأنه يشكو إليك أنت حزنه وبثه !!

فى أبعد الأعماق من نفسى
خواطر تهفـــو إلى حمى
وكلما حامت على كأسى

ثارت عليها نوبة من كلال فأغرقتها فى خضم العدم
وأورثتنى حقبة من ملال وطوحت بى فى فيافى السأم

حالة نفسية هى فى ميزان الشعراء محنة !! ترى كيف يواجه شاعرنا مثل هذه الأزمة !!

غسلت بالصمت خداع الدنى
وجزت بالصمت سراب المنى
وعدت منـــه قانعاً مؤمنا

والصمت يوحى سحره بالجلال ويغمر النفس بعذب النسم
فارجعى لى يا عذارى الخيال صدى لحونى من وراء السدم

وقد يجنح التأمل بالشاعر إلى عوالم مليئة برؤى ومشاهد ، قد تأبى على اللغة المألوفة ، وإذن فلا سبيل إلى إدراكها إلا بالرمز ، ففى قصيدة (الليل) يستنهض الشاعر بلبل الوادى — وهو يعنى نفسه — فالربيع الطلق قد آب ، وفى موكبه الزهر والنسيم والعطر والحب !!

فعلام الصمت والحزن ووجه الأرض يضحك ؟!

ولكن الشاعر أو بلبل الوادى يؤثر العزلة فى وكره على أن يضرب بجناحيه فى فضاء الكون العريض ، وما أضيق كون :

جدول الرحمة فيه أوشك الآن بغيض
نضبت منه الأمانى بعد أن كانت تفيض
أنا إن غردت أو نوحت هل يغنى القريض ؟

وهكذا يرفض البلبل أن تفتنه مظاهر الربيع المتألقة على وجه الطبيعة عن جوهره ولبابه .

ما الربيع الحق إلا خفقات فى الضلوع

وتعرض قصيدة (موجتين) للصراع الأبدى بين الخير والشر ، (موجتان) لغير ما سبب تآمران على حياء شيخ !!

هادىء هانىء الفؤاد رضى يبذل العمر بين كدح وكد

❋ ❋ ❋

صورة للحياة فى كل آن هزلها ينطوى على شرجد
روعتها الخطوب فى كل يوم بالعداء الأثيم من كل وغد
عبثا تصلح النفوس وفيها بذرة الشر وانتواء التعدى

❋ ❋ ❋

وفى قصيدة (غيرة) وقصيدة (عندما تحترق الفراشة) نجد ألوانا من التأمل الزاخر بالومض والكشف وتحسس الأعماق !!

وديوان (صدى ونور ودموع) حافل أيضا بالشعر الغزلى والعاطفى ، تقرأه فتحس أنك أمام شاعر كبير ، يمتعك بصوره الجميلة المجنحة ، ويطربك بإيقاعه العذب الملهم ، ومع ذلك فشعر الديوان الغزلى أو العاطفى لا يستطيع أن يقنعك بأن الشاعر حسن كامل الصيرفى قد عانى تجربة الحب فى صدق وعمق !!

وقد راجعت إحساسى هذا أكثر من مرة فأصر على أنه يفتقد فى غزله صدق الانفعال وحرارة التجربة !! وكم كنا نتمنى لو أن لهب الحب قد مس شغاف هذا القلب الكبير ، إذن لزاد ديوانه إشراقا على إشراق ، وحياة على حياة !!

وحسن كامل الصيرفى — بعد — شاعر مرهف الحس ، متوفز المشاعر ، لا يكاد يرى امرأة جميلة حتى يسرع إلى ريشته ليصور مفاتنها على أنه مع ذلك لا يكاد تتعرى أمامه (ساقان) حتى يغضى حياء ليحلق خياله بعيداً عن « الأرض » مع أحلامه . . أحلام شفافة لا غليظة كتلك التى تلغ فيها غرائز بعض شعراء هذه الأيام !!

أساقان هاتان أم موجتان
من السحر فوق الثرى تخطران

لخطوهما فى رحاب الزمان
رجيع الصدى لا رق الأغانى
هما فتنتان هما روعتان
هما موجتان هما آيتـــان

بل إن المرأة المتجردة الراقصة مع الأمواج على الشاطىء ، لا تلهب فى الشاعر غرائزه بقدر ما تلهب خياله ! ! خيال شعراء لا خيال مراهقين ! !

هدأ الموج فاسبحى وسجا البحر فامرحى
أنت فى الماء رقصة حرة فوق مسرح
ضجة البحر عندما تتهادين تمحى
هو شمشون فاهزئى فى هـــواه المبرح
بالقوى منه واسبحى كالخيـــال المجنح

❀ ❀ ❀

وحين يتاح للشاعر الحي أن ينتصر على حيائه فيقبل امرأة تأخذه نشوة «روحية» !! تذهله عن واقعه :

نسيت اللهو والشيطان والفتنة والإثما
وعدت بروح صوفى يرى ماحير الفهما
وذقت الخلد من شفتين ما أحلاهما طعما
أكانت لحظة من لحظات الخلد أم أسمى
وكانت نقلة بالروح أم بالجسم أم بهما
رأيت بها جنان الله قد حلين لى رسما

وأظن أنك لو قرأت قصائده : (أتمنى) و (فتنة) و (حطام) و (كعبة الحسن) و (ردى خيالك) و (فى طريقك) و (الفتنة النائمة) إلى آخر شعر الغزل فى الديوان ستؤمن معى بما ذهبت إليه من أن الشاعر الصيرفى لم يحب ، ولكنك سوف تستمتع بصوره الخلابة وألحانه المرسلة فى غير تعثر على لهاة بلبل صداح ! !

على أن الشاعر الذى لم يحب قد أحبته حواء ! ! وكان هذا الحب « مفاجأة » له حين اكتشفه على غير توقع أو انتظار .

العين توحى
فلا تبـــوحى
فقد تجليت فى وضـــوح
لقـــلبى الخافق الطموح
بعطفك الخالص الصريح
واللحظ فى صمته الفصيح
يغنى عن اللفظ والشروح
فلا تبوحى فالعين توحى

قصيدة تطفر أبياتها بالفرحة والنبض والتهدج ، ولكنك مع كل أولئك تفتقد فيها وجد الحب ولوعته وحرارته ونجواه !!

وحسن كامل الصيرفى الذى عودنا شعره أن يكون أشبه بنجوى الأصدقاء ، يرتفع صوته فى الشعر الاجتماعى والسياسى حتى لتملأ أسماعنا كلماته المجلجلة !! ونحسب أن قصيدته (الجبابره) من أجود ما قيل فى معركة القناة يوم أن غزا (أرسكين) بقواته الضخمة كفر أحمد عبده ، أحد أحياء مدينة السويس ، فأبياتها تقطر زراية لاذعة وحقداً ساحقا ، وتدفقها السريع المتلاحق يوحى بجو المعركة المشحون بالتوتر والمباغتة وتتابع الطلقات !!

مهلا أرسكين العظيم وقائد الظبى الربيب
الغاربات أقل ما يهدى إلى البطل الطروب
المنتشى بدم الشهيد بكف رعديد نخيب
« ومزلزل الكفر » العتيد بجيشه اللجب الرهيب
المستبد بأمره فى غفلة الزمن الجديب
هذى البطولة أين كانت فى الشدائد والخطوب
كنتم جبابرة الحروب أمام جبار الحروب !!

وفى (موكب البعث) يتنفس الشاعر الصعداء حين يذهب الملك المخلوع إلى غير رجعة فى قصيد حار مصور :

زحزحوا الظلمة عنا زحزحوها وارفعوا الغمة عنا واكشفوها
وإلى البحر الذى يقذفنا كل حين بالطواغيت اقذفوها

لكأنى بالشاعر تكاد تزهق أنفاسه تحت ثقل هذه الظلمة المنكرة !! وفى اختيار « زحزحوها » وتكرارها فى صدر البيت الأول تذوق بارع من الشاعر لظلال الكلمات وشحناتها الشعورية .

وقد أشاد الدكتور محمد مندور فى مقال له بالجمهورية عن ديوان : (صدى ونور ودموع) بما يتميز به شعر الصيرفى فى الرثاء من صدق وحرارة وإخلاص ، ونحن نزكى هذه النظرة بصفة عامة ، غير أننا لم نستطع أن ندفع إحساسنا بروح « الواجب » تسرى فى بعض القصائد ، فقصيدته فى رثاء الدكتور زكى مبارك ، ورثاؤه للفنان نجيب الريحانى مثلان لقصائد أخرى أملاها عليه واجب الموقف !! ولهذا جاءت خامدة مصنوعة !!

على أن سائر شعار الرثاء فى (صدى ونور ودموع) زخار بدفق العاطفة . وهذه قصيدته فى رثاء الشاعر على محمود طه ، لحن باك معول !! ينظر الشاعر من حوله فإذا الطريق قد أقفرت من الصحاب !! لقد مضو إلى حيث لا عودة !!

لم يبق لى طريق العمر أحباب ... خلا الطريق وأحباب الرؤى غابوا

كانوا خيالا وكان العيش حلم كسرى ... مضى به قدر للعمر نهاب

شعور مفزع بالوحدة واحساس ممض بالمصير المحتوم !! ثم تتابع ، مخيله الشاعر أيام هذه الصداقة الحبيبة ، وتقف طويلا عند يوم اللقاء الأخير ليتجرع ذكرياته المرة .

كان اللقاء وداعا والحديث صدى ... عن عالم الغيب لم تدركه الباب

نشكوا جراحاتنا والدمع نحبسه ... عن أن يسيل أبى الدمع غلاب

نرجو ونأمل والأقدار ترقبنا ... والموت يحجبه عن وهمنا الباب

ولعل من الطريف أن تجد شاعراً يرثى (حماته) !! وحين قرأت مقدمة الصيرفى لقصيدة (زهرة الخير) حسبتها (مجاملة) من شاعر لزوجته !! ولكننى حين مضيت فى قراءتها أحسست فى كلماتها إشعاعا عميقا صادقا تنفثه الشاعر فى وداع شخص عزيز .

وبعد فما أكثر ما تطالعنا الصحف هذه الأيام بكلام يصر أصحابه على أنه شعر !!

وكان ينبغى أن يظهر مثل ديوان (صدى ونور ودموع) ليقول لهؤلاء أمسكوا عن هذا السخف . . بل هذا هو الشعر . .

آداب الطريق

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

الأستاذ بدار المعلمات بالزمالك

(٤)

نخلص مما تقدم إلى أن الصوفية من أسبق الناس فى معرفة أصول التربية والتعليم، وقد وضعوا لذلك قواعد لا تزال تعتبر مقياسا سليما من مقاييس التهذيب والسلوك، وعلم النفس الذى يعتمد أصحابه على نظريات الغرب المبنية على التجربة والتخمين والمشاهدات كان أساتذته الأول هم الصوفية الذين حذقوا هذا العلم لا بناء على التجربة التى تتعرض للخطأ والصواب، ولكن بناء على الفراسة الصادقة، التى يقول فيها أشرف الخلق — صلى الله عليه وسلم — «اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله» وعلى الإلهام الروحى والكشف الإلهى الذى يفيضه الله على من يشاء من عباده.

فليس كالصوفية أحد تمكن من معرفة دقائق النفس وخفاياها، ومكامن خيرها وشرها وطرق رغباتها ودسائسها، حتى إنهم وصفوا لها مراتب ينتقل فيها السالك فى أثناء سيره ومجاهداته، فأول مرتبة للنفس هى الأمارة بالسوء التى يقول الله فيها على لسان يوسف أو امرأة العزيز «وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم» والمرتبة الثانية هى النفس اللوامة التى يقسم الله بها فى كتابه الكريم، لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وتليها مرتبة النفس الملهمة ثم مرتبة النفس المطمئنة ثم مرتبة النفس الراضية فالمرضية، ويخاطب الله سبحانه وتعالى هذه النفوس الثلاث بقوله تعالى «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية» والمرتبة السابعة هى النفس الكاملة، وفيها تكون النفس قد وصلت إلى حالة الكمال والترقى والشهود الكلى، وتحلت بالصفات التى يحق لصاحبها أن يكون قدوة كاملة فى سلوكه وتوجيهاته.

ولكل مرتبة من هذه المراتب ألوان خاصة من المجاهدات والإرشادات يتمكن

بواسطتها المريد من الانتقال من هذه المرتبة إلى غيرها . والصوفية هم أدرى الناس بما يناسب كل حالة من هذه الحالات . فلكل إنسان ذوقه الخاص وشخصيته المستقلة وخصائصه التى قد قلما تخطىء عن غيره قليلا أو كثيراً . يكون الإرشاد فيها بناء على الإلهام والمدد الروحى والفراسة الصادقة التى كلما تجطىء . هذا الإرشاد هو الذى يوجه المريد ويأخذ بيده ويضع لهم النهج الذى يلائمه والمسلك الذى يوائمه ويوافقه ، ولذلك كان توجيه الصوفية موفقا غاية التوفيق ناجحا كل النجاح .

وليس أدل على ذلك من تعرفهم على دقائق الرياء الكامنة فى كثير من النفوس ، والتى يستعصى فهمها على كثير من الناس ولهم فى بيان ذلك ومعرفته طرائق متعددة دلت على قوة العزيمة ونفاذ البصيرة ودقة الفهم .

كما أن معرفتهم نوازع النفس واتجاهاتها وميولها وخصائصها ليدل دلالة قاطعة على أنهم قطعوا شوطا بعيداً فى إدراك ذلك إدراكا عمليا مبنيا على قواعد ثابتة من الحس والكشف واليقين الذى لا ترقى إليه الظنون والأوهام .

وهكذا كانت دعوتهم إلى الأخلاق دعوة خالصة قوية مؤمنة تعتمد على القدوة الحسنة أكثر مما تعتمد على الكلمة والموعظة لا لشىء إلا لأنهم عمليون مخلصون . ومن هنا كان تأثيرهم القوى فى مريديهم وأتباعهم ، وإننا لنرى الواعظ يعظ الناس بكلامه اللين فيستمعون إليه ثم ينصرفون وما علقت بقلوبهم كلمة واحدة مما قال . طالما كان يقول هذا القول أداء لحق وظيفته فحسب ولينال أجره على هذا القول دون أن يطلب أثر كلامه فى سامعيه . أما الصوفى فإنه يدعو إلى ربه بقلبه وروحه دون أن يطلب على ذلك أجراً ، حتى إنه ليقدح فى إخلاصه نظرة إلى ثواب الله فى ذلك قيل لأحد الصوفية . مالك كلما تكلمت بكى كل من يسمعك ، ولا يبكى من كلام واعظ المدينة أحد ؟ فقال : ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة .

فلا نستغرب إذن أن نرى للصوفية أثراً كبيراً فى الارشاد والتوجيه .

يقول علماء التربية : إن كل عمل يضيع بلا ثمرة إذا لم يتتبع صاحبه الجهود المبذولة فيه . . . وهذه قاعدة صوفية قديمة فالقائد الصوفى بين تلاميذه وإخوانه يقظ حريص متتبع لخطواتهم ، ليعرف مدى حرصهم على تنفيذ تعليماته وتوجيهاته ، ويأخذهم بالحزم والشدة متى رأى منهم التفريط أو الاستهانة ، وقد يكون للنظرة القاسية أو الصد والجفاء أو الاعراض عن المقصر أثر أشد من ضرب السياط وأكثر ألما من

نعم النار . لأن الطريق صاعدة إلى الله والقائد فيها أمين الله على هذا الركب الصاعد ، ودليله إليه ، فينبغى التعلق به والتأدب معه والاخلاص له .

فمتى أعرض القائد عن أحد من جنده فمعنى ذلك فى حسبانه ضلاله عن الركب وتعويقه عن القصد ، ولذلك سرعان ما يحاول إصلاح خلله والرجوع عن مواطن زلله .

وآداب الصوفية مع شيوخهم مستمد من آداب الصحابة رضوان الله عليهم مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد نزل القرآن الكريم موجها إلى ضرورة مراعاه الأدب فى حضرته لأنه المرشد الأكبر والدال الأعظم على طريق الخير والسعادة « يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ، واتقوا الله إن الله سميع عليم . يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ، أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم . إن الذين ينادونك من من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم ، لكان خيراً لهم والله غفور رحيم » .

وشيوخ الطريق قادتنا إلى الله وهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك فينبغى أن تكون لهم التجلة والاحترام .

قد يظن ظان أن الصوفية فى سلوكهم انطوائيون ميالون للعزلة فارون من المجتمع لا يعنيهم أحد سواهم ، ولا يهم الشخص منهم إلا اصلاح نفسه فحسب . وصاحب هذا الظن يظلم الصوفية ظلما بينا . وهذه تهمة ألصقها خصومهم بهم لا شىء إلا لأنهم انفردوا بمعرفة الله سبحانه وتعالى ودلوا عليه ودعوا الناس إلى عدم الانهماك فى الدنيا انهماكا يعمى أبصارهم وبصائرهم عن صاحب هذه النعم التى أغدقت عليهم ، وكانت لهم أذواق ومشاهدات ومعارف تعلو على أفهام هؤلاء الخصوم ، فنفسوا عليهم هذه المعرفة وحقدوا عليهم ، ودسوا لهم ، وأغروا السفهاء بهم وظنوا أن ذلك يطمس نور الشمس ، أو يعشى سلطان الحقيقة ، ولكن خاب فألهم وطاش سهمهم .

وفى الواقع لم يكن الصوفية أبدا فى معزل عن الحياة أو المجتمع ، لأن مهمتهم الأولى هى الدعوة إلى الله والتخلق بأخلاقه والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تحقيقا لقوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم المفلحون » ، وهذه المهمة لا يستطيع أن يقوم بها شخص انطوائى منعزل غير متعرف على خصائص الناس ونفسياتهم ومجتمعهم . هذا من ناحية ، ومن

ناحية أخرى ، كيف يدعو الصوفى الناس وهو بعيد عنهم غير مختلط بهم أو مندمج فيهم ؟ فلا بد إذن أن يكون الصوفى شخصا اجتماعيا خبيرا بأحوال المجتمع الذى نعيش فيه .

الصوفى رجل مثالى يعنيه تماما أن يرى مجتمعه الذى يعيش فيه قويا متماسكا متينا مبنيا على أسس من الرحمة والحب والتعاطف والتعاون . يريد أن يرى المجتمع صورة من روحه الواسعة المليئة بالخير والمعروف ، ولذلك يألم لألم الناس ويفرح لفرحهم ويضحى بنفسه لمنفعتهم ، ويؤثر أدنى مصلحة لأدناهم على أقوى مصلحة له هو . الصوفى ينفذ قول النبى صلى الله عليه وسلم « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم تنفيذاً عمليا . وهذا هو الامام الشعرانى رضى الله عنه يقول « من ضحك أو استمتع بزوجه أو لبس ثوبا منجرا أو ذهب إلى مواضع المتنزهات أيام نزوك البلاء على المسلمين فهو والبهائم سواء شب حريق فى أحد الأسواق ونجا حانوت يملكه رجل صوفى ، فقيل له ذلك فقال : الحمد لله وسرعان ما استدرك ، وعند ذلك جناية ما زال يستغفر منها حتى آخر حياته . لأنه أراد لنفسه الخير دون المسلمين وهذه أثرة وأنانية تتنافى مع طباعه كصوفى يدعو إلى البذل والإيثار والتضحية . ؟

للحديث بقية

حقيقة الاسلام

للمستشرق الإنجليزى (ر . هـ . نولت)

عرضه الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

— ٤ —

الشريعة الخالدة :

منذ اليوم الذى قام فيه محمد بدعوته ، وسرت بين العرب كلمة الإسلام ، كانت الشريعة الإسلامية تطبق بواسطة السلطة الزمنية إلى مدى ألف سنة من حياة الإسلام ، برغم تغير العهود وتعدد الدول الإسلامية واختلاف مشارب الحكام وأهوائهم وتفاوت درجات تحمسهم للدين ، ولا تزال بعض أحكام الشريعة الإسلامية ، فيما يختص بتنظيم أحوال الزواج والطلاق والميراث وغيرها من الأحوال الشخصية ، تنفذ فى الدول الاسلامية إلى يومنا هذا — فيما عدا تركيا — وتنفيذ هذه الأحكام واجب بقوة القانون ، كما أن هذه الشريعة لا تزال القانون الرسمى للدولة فى بعض الدول الاسلامية كبلاد الحجاز وأفغانستان ، حيث يقطعون هناك يد السارق تنفيذاً لأمر القرآن .

« السارق والسارقة فاقطعوا أيدهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم »

ويجلدون أو يرجمون الزانى والزانية .

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

وإن كان القرآن لم ينص على الرجم إلا أنه نفذ فى حياة الرسول ، وفى اعتقادى أن النبى لجأ إلى الرجم حتى يفرق بين مرتكبى هذه الجريمة من متزوجين وغير متزوجين .

وكثيراً ما ترى بعض الهيئات فى الدول الاسلامية التى اتخذت القوانين الوضعية

قانونا لها وأحلتها محل قواعد الشريعة الاسلامية وطبقتها على أهلها ، تنادى هذه الهيئات بوجوب تطبيق الشريعة الاسلامية .

والحقيقة الواضحة لا تزال قائمة حتى فى هذه الدول التى غيرت وبدلت من قوانينها ، أن الشريعة الإسلامية هى المثل الأعلى وأنه لا قانون يعلو عليها .

* * *

وهناك ظاهرة واضحة فى البلاد الاسلامية التى تقوم بتطبيق القوانين الزمنية على أهلها وتحاسبهم على تصرفاتهم حسب مقتضياتها . وبرغم هذا فإن الشريعة الاسلامية تعتبر هى العامل الذى خلق مجتمعاً إسلامياً قوياً متحداً يضم كثيراً من الشعوب ذات العقائد المتعددة .

هذا المجتمع الذى خلفته الشريعة الاسلامية كان مجتمعا من طراز خاص ومن نموذج يختلف عن غيره من النماذج الأخرى .

لقد استطاع أن يصمد أمام الغزاة الفاتحين والمستعمرين الأجانب خلال عدة قرون ، كما استطاع أن يظل باقيا بالرغم من تعدد الثورات التى قامت فى مختلف المواطن الاسلامية ، وبرغم الأحداث السياسية التى اجتاحتها ، وكانت خليقة أن تذهب بهذه المواطن وتجعلها بددا .

واليوم نحس التأثير الكبير الذى أحدثته المدنية الغربية فى العالم الاسلامى ، كما أننا نرى عيوب الغرب كلها وفضائله منتشرة فى البلاد الاسلامية ، ولم يقتصر الأمر على هذا بل إن العالم الاسلامى أخذ عن الغرب نظم حكوماته وجيوشه وسياسته الاقتصادية ، وفوق ذلك أخذ عنه الكثير من عاداته الاجتماعية وآرائه الدنيوية ، فأصبح ينتشر اليوم فى الدول الاسلامية البرلمانات ذات السيادة والدساتير والمحاكم التى تطبق القوانين المدنية ، ونقابات العمال وشركات التجارة والصناعة الحديثة وطرق الزراعة الراقية ، كما ترى فيه السيارات تقطع الشوارع ، ودور السينما واللاسلكى وغير ذلك مما جاءت به المدنية الغربية مما أحدث ثورة اجتماعية كاملة فى البلاد الاسلامية .

ولا يقولن قائل إن الاسلام قد منع أهله من التفكير فى مثل هذه الأشياء ، لا . ولكن المسلمين هم الذين أتى عليهم حين من الدهر تواكلوا فيه ولم يحاولوا أن يطبقوا ما جاء فى الاسلام من الدعوة إلى تطور الحياة وتقدمها ، ولو أنهم واصلوا السير فى الطريق الذى رسمه لهم القرآن وسار فيه المسلمون السابقون فمن المؤكد أنه كانت

قد صدرت تلك البضاعة السابق ذكرها ، من البلاد العربية إلى البلاد الغربية وكان يقال (المدنية الاسلامية) بدلا من (المدنية الغربية) .

فقد جاء اليوم الذى كان المسلمون فيه فى الصحراء الشاسعة منبع الاسلام وفى الامبراطورية العثمانية يضيعون وراء الأسوار ويغطون فى نوم عميق غافلين عما يجرى خارج عالمهم ، وظل هذا حالهم حتى القرن العشرين عندما فوجئوا بالحقيقة التى بينت لهم السيادة المادية التى حصل عليها الغرب .

وقد جاءتهم هذه المدنية مع الغزاة المستعمرين ؛ وإن كان هؤلاء لا يريدون للأمم الاسلامية أن تنال شيئا من المدنية ، ولكن المسلمين الذين أخذوا يشعرون بكيانهم فى المجتمع الانسانى ، قاموا يغترفون من هذه السيادة المادية ومن مظاهرها بكل ما يستطيعون ، فاستوردت الآراء من الغرب استجابة للطلبات المحلية ، وقد ساعد على هذا الاقتباس ، قيام بعض الزعماء فى هذه الدول ممن تلقوا تعليمهم فى المعاهد الدينية التى بدأت تدرس الإسلام دراسة حقيقية ، مما أشرب قلوبهم الحرية ومكن من نفوسهم حب الديمقراطية الحقة التى كان يتمتع بها آباؤهم فى العصور الأولى للاسلام .

وقد نجح هؤلاء فى إدخال الأساليب الغربية إلى دول الاسلام ، وهم يعملون اليوم على أن يكيفوا هذه الأساليب حسب ما يأمر به الدين الاسلامى ، حتى لا ينحرفوا مع التيار الغربى وحتى لا يقفوا جامدين بينما العالم يتقدم بخطوات واسعة .

الضعف السياسى :

ليست الشريعة الاسلامية كغيرها من الشرائع الوضعية ، فهى لا تفرق بين الدين والسياسة .

لأن الحاكم فى نظر الشريعة الاسلامية هو الزعيم الروحى والزعيم الدنيوى ، بل والقائد الحربى فى كثير من الأحيان وخاصة فى أول عهد الاسلام ، والحاكم المسلم يجب عليه فى هذه الحالة أن يكفل تطبيق الشريعة فى كل مناحى الحياة ومختلف شئون المسلمين ، بالرغم من أن هذا هو صلب ما نصت عليه الشريعة الاسلامية ، إلا أنه أمر لم يمارس على الوجه الأكمل ، وذلك لأن الحاكم كانت له السلطة دائما فى تعيين رجال القضاء والادارة ، كما كان له حق عزلهم وتحديد اختصاصهم .

وقد كان هذا سببا فى أن يجعل الحاكم فى العصور المتأخرة من الاسلام

يجور فى تطبيق الشريعة الاسلامية متعمدا أحيانا وغير متعمد أحيانا أخرى .

وأما فى العصور الأولى فقد كان تمسك الحكام بجوهر الشريعة سببا فى كثير من المآسى التى أودت بحياة كثير من رجال الإسلام .

غير أن ما حدث فى الأزمان المتأخرة فلا يعتبر عيبا فى الشريعة الاسلامية ، ولكن فقهاء المسلمين هم الذين أخفقوا فى تطبيقها فى المجتمع الإسلامى .

هذه الشريعة التى كانت ضمانا عمليا للمجتمع وكانت تقوم حائلا بين تعسف الحكام وتعديهم اختصاصاتهم التى حددها القرآن والسنة .

وحتى بعد أن اتجهت كثير من الدول الاسلامية إلى الآراء الغربية ، فقد أخفقت هذه الآراء ولم تستطع أن تحقق مسئولية الحاكم أمام القانون وأمام المجتمع فى البلاد الاسلامية .

وقد يكون مرجع هذا إلى عدم قدرة المسلمين على تطبيق هذه القوانين كما سبق لهم أن اخفقوا فى تطبيق التعاليم والتقاليد الاسلامية التى زخر بها القرآن وسنة الرسول ، واستندت عليها الشريعة الاسلامية فى أحكامها . ولقد نصح الرسول المسلمين فقال :

(لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به ان تضلوا بعدى . كتاب الله وسنتى) .

واليوم يرى المتتبع لما يجرى فى بلاد العالم أن الدول الاسلامية تزخر بالأحداث والتغيرات والظروف العسيرة . فلا يملك أن يتساءل :

هل يمكن أن توضع الشريعة الاسلامية على نحو تستطيع معه أن تواجه هذه الأحداث ، وتطورات الظروف وتقلباتها ؟ وهل يمكنها أن تعالج بطريق عملى مرن ، مطالب المجتمع التى يفرضها التطور السريع الظاهر فى كل ميادين النشاط ، ليصبح المجتمع الاسلامى قويا كغيره من المجتمعات الأخرى ؟ مثل هذه الأسئلة من العسير الإجابة عنها الآن . ولكن يترك الرد عليها للزمن أولا وللمسلمين أنفسهم ثانيا ؟

تحية من المغرب العربى

لقائد العروبة الرئيس جمال عبد الناصر

ولمجلة الإسلام والتصوف

حضرة صاحب الفضيلة سماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية — السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : من محب فى الله ومن معجب بفضيلتكم وحركتكم وحركتنا المباركة الطاهرة أقدم لسماحتكم أسمى التحيات وأعز الأمانى . . .

سيدى لقد سرنى حديثكم مع الزعيم الروحى الشيخ إبراهيم انياس وكدت أرقص فرحاً من حركة التبشير بدين الله القائم بها الشيخ إبراهيم فى القارة الأفريقية أبقاكما الله مفخرة للخير وعنواناً للفضيلة . . .

سيدى الشيخ أنا عبد السلام محمد الكويرة من أبناء الأزهر الشريف ومن عشاق الحركة الصوفية ونشرها فى وسط الشباب المزكوم الأنف فمنعه ذلك من شم روائح التصوف الزكية الطاهرة . . . ؟

والمصاب برمد صديدي فى عينيه فمنعه ذلك من رؤية نور التصوف الساطع . . . وعليه : فيا سيدى الأخ فى الله رجائى أن تعتبرونى منكم وإليكم ومن الدعاة لدعوتكم الربانية ومن المتعهدين لمجلتكم ومجلتنا « الاسلام والتصوف » رغم مشاغلى العديدة وكثيراً ما هى . . . فشغفى أن أنشرها فى مغربنا العربى بكثرة وبنوع خاص فى وسط الشباب المثقف فاعتبرنى من الآن مشتركا فيها ومتعهداً لها فابعثولى — إن سمحتم — العدد ٣ من السنة الثالثة والأعداد التى تليه بانتظام وإنى لكم لشاكر . . .

هذا وأننى سوف أتعهد المجلة بأبحاث قيمة فى طريق التقوم وبنشاط الأخوان الصوفيين عندنا وغير ذلك . . .

تحيتى إليكم وإلى أخوانى فى الله من أقصى المغرب إلى قلب العروبة مصرها وسيدها زعيم العرب والمسلمين السيد الرئيس جمال عبد الناصر والسلام عليكم ورحمة الله؟

عبد السلام محمد الكويرة

التصوف والصوفية

للكاتب المغربي الأستاذ عبد السلام محمد الكويره

لفظ التصوف على ثلاثة أحرف : متقطعة من ثلاث كلمات دالة على معانى ثلاثة هى أوصافه المختصة به ... فالصاد مقتطع من الصفاء والواو مقتطع من الوفاء ، والفاء مقتطع من الفناء .

قال الشاعر الصوفى أبو الفاسى :

صفى منهل الصوفى عن علل الهوى ... فما شاب ذاك الورد من نفسه حظ
ووفى بعهد الحب إذ لم يكن له ... إلى غير من يهوى التفات ولا لحظ
محت آيات الاظـــلام نهاره ... وقد ذهبت منه الإشارة واللفظ

هذا وقد اختلفوا فى اشتقاقه : فقيل نسبة إلى الصوف لأنه زى أهله غالبا . وقيل نسبة إلى الصوفة الملقاة على الأرض والرياح تحركها لأنهم يؤثرون التواضع وقيل نسبة إلى صوفة القفا للينها . فإن المؤمن لين معين . وقيل نسبة إلى الصفة وهى مظلة فى المسجد النبوى كانت مأوى الفقراء المتجردين لأن الصوفى تابع لهم فيما ثبت الله لهم من الوصف حيث قال : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) وقيل من الصفو الخاص . وقيل من الصفا لأنه مقامهم . قال أبو الفتح البستى : —

تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا ... جهلا فظنوه مشتقا من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم الافتى ... صفا فصوفى حتى سمى الصوفى

وقد حده حجة الإسلام الغزالى بقوله : هو تجريد القلب لله تعالى واحتقار ماسواه .

وقيل هو نتيجة رسوم أهل المعارف وخلاصة علوم رأس العوارف .

وقيل هو علم يعرف بكيفية تصفية الباطن من كدرات النفس أى عيوبها . وصفاتها المذمومة كالغل والحقد والحسد والغش وطلاب العلوم وحب الثناء والرياء وغير ذلك .

قال الشيخ زروق فى قواعده : لقد حد علم التصوف بوجوه تبلغ نحو الفين مرجعها كلها صدق التوجه إلى الله سبحانه وتعالى .

أما موضوعه : فالذات العلية الربانية لأنه يبحث عنها باعتبار معرفتها ، أما بالبرهان أو الشهود والعيان . فالأول للطالبين ، والثانى للواصلين . وقيل موضوعه النفوس والقلوب والأرواح لأنه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها .. وقال معاذ الرازى : من عرف نفسه فقد عرف ربه . وقليل الآداب اللائقة بالعبد بين يدى مولاه .

وفائدته : هو إفراد القلب لله سبحانه وهذا بالنسبة للمخلصين . فيحصل لهم بالإنكباب عليه مزايا عظيمة منها : تقوية أنوار الإيمان واليقين . — لأن فى كلام القوم صولة تحق الحق وتبطل الباطل .

ومنها معرفة آداب العبودية اللائقة بمقام الربوبية إذ التصوف كله آداب — .

قال أحد العارفين : إن لكل مخلوق حاجة ولكل حاجة غاية ولكل غاية سبيلا . . والكريم الرازق وقت للأمور أقدارها وهيأ للغايات سبلها وسبب للحاجات ببلوغها .

وقد قالوا فى الصوفى أنه كالأرض يطرح عليها كل قبيح ويخرج منها كل مليح فهم لا يردون على الناس أحجارهم ولكن يفيضون عليهم من أنوارهم . قال تعالى :

(ثم أورثنا الكتاب الذى اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه)

وهو صاحب النفس الأمارة — (ومنهم مقتصد) — وهو صاحب النفس اللوامة (ومنهم سابق بالخيرات) وهو صاحب النفس المطمئنة — وللصوفية تقسيم خاص فى المعاصى فمندهم أربعة خاصة بالقلب فهى : الشرك والأصرار على المعصية والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله . وأربعة فى اللسان وهى . شهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس والسحر . وثلاثة فى البطن وهى شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا . واثنان فى الفرج كالزنا واللواطة واثنان فى اليدين وهما القتل والسرقة . وواحدة فى الرجل وهى الفرار من الزحف وواحدة تتعلق بجميع الجسد وهى حقوق الوالدين .

وقد قالوا فى العاصى إن له تصوف حوته كتب المحاسبى : وللفقيه تصوف تفرغ إليها ابن الحج فى مدخله .

وللمحدث تصوف حام حولها ابن العربي فى سراجه . وللعابد تصوف دار عليه الغزالى فى منهاجه .

والمتريض له تصوف نبه عليه القشيرى فى رسالته . وللناسك تصوف حوتها كتابى القوت والاحياء .

وللحكيم تصوف أدخله الحاتمى فى كتبه . وللمنطقى تصوف نحا إليه ابن سبعين فى تأليفه جاء به البونى فى أسراره وللأصولى تصوف قام الشاذلى بتحقيقه فليعتبر كل بأصله من محله وبالله التوفيق ...

أخبار صوفية

عودة بعثة المشيخة الصوفية للحج من الأراضى المقدسة

بتوفيق الله عاد صاحب السماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية ورئيس المجلس الصوفى الأعلى ورئيس بعثة المشيخة الصوفية للحج يرافقه الأساتذة السيد محمد محمود على بحبح شيخ السادة السطوحية الأحمدية والسيد أبو الوفا الغنيمى التفتازانى شيخ السادة الغنيمية الخلوتية والسيد طه عبد الباقى سرور رئيس تحرير مجلة الإسلام والتصوف أعضاء البعثة بعد أن أدوا مناسك الحج والزيارة ، والأسرة الصوفية تقدم لهم أخلص التهنئة ، بسلامة العودة .

احتفال وكالة المشيخة العامه بمركز أجا بعيد الهجرة

احتفل السيد كامل أحمد على عمر وكيل المشيخة الصوفية بمركز أجا بعيد الهجرة وذلك فى عصر يوم الأربعاء غرة المحرم سنة ١٣٨١ الموافق ١٩٦١/٦/١٤ وقد حضر الحفل جمع حاشد من أبناء الطرق الصوفية وبعد أن ألقيت الكلمات المناسبة من الأستاذ واعظ المركز والسيد الوكيل وغيرهم أختتم الحفل بالدعاء للسيد الرئيس جمال عبد الناصر بالنصر والتأييد .

وكالة المشيخة الصوفية بمركز سمنود

حتفل السيد عبد العزيز صيام وكيل المشيخة الصوفية بمركز سمنود بعيد الهجرة النبوية الشريفة احتفالا ضخماً دعى إليه علماء مركز سمنود وأبناء الطرق الصوفيه وبعد أن ألقيت الكلمات المناسبة ، قام رجال الطرق الصوفية بتسيير موكب صوفى حاشد فى تمام الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء أول محرم من دار وكالة المشيخة العامة ، يتقدمه رجال الشرطة والسوارى برياسة السيد الرائد نائب المأمور وبعد أن طاف الموكب بمدينة سمنود وسط التهليل والتكبير عاد من حيث بدأ وقد وزعت الحلوى والمرطبات وانصرف الجميع داعين للسيد رئيس الجمهورية بالتوفيق والسداد .

مجالس الذكر حول الصارى بسمنود

بمناسبة الخلاف القائم بين رجال الطرق الصوفية على نظام مجالس الذكر حول الصارى بسمنود ، قام السيد عبد العزيز صيام بتوجيه الدعوة إلى اجتماع عقد فى يوم الأحد ٣٠ أبريل ٩٦١ وضم نواب الطرق الصوفية بسمنود .

وبعد أن وجه السيد الوكيل إليهم النصح بضرورة الأتفاق والتراضى ونبذ دواعى الفرقة والانقسام عملا بالمبادىء الصوفية القويمة وأسوة بالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، تم الاتفاق بين نواب الطرق الصوفية ، الممثلة فى مجالس الذكر حول الصارى . وهى ، الرفاعيه ، وخلفاء المقام الأحمدى ، والقادرية القاسمية ، والبرهامية ، والأحمدية المرازقة ، على نظام وترتيب كل طريقة من الطرق المذكورة وقد توقع على محضر الاتفاق من الجميع واعتمد من المشيخة العامة .

فى الأفق الصوفى

اعتمدت المشيخة العامة التعيينات الآتية :

١ — الشيخ عواد حسين حجاب خليفه خلفاء للسادة الشعيبية الأحمدية بقسم روض الفرج .

٢ — الشيخ إبراهيم محمد لنطه نائبا للسادة الشعيبية بندر قليوب .

٣ — الشيخ محمد أحمد حسنين نائبا للساده الشعيبية الأحمدية بقسم شبرا .

٤ — الشيخ محمد كامل محمد جمعه خليفة حلفاء للسادة الشعيبية الأحمديه بمسطرد .

٥ — الشيخ طه صلاح أحمد محمد عبد الصالحين نائبا للسادة التشقيانية الأحمدية بمركزى الفشن ومغاغه .

٦ — الشيخ سيد عبده قطب خليفة خلفاء السادة القادرية القاسمية بندر ومركز أبو قرقاص .

٧ — الشيخ حسين المرسى السيد نصر الشهير : محمد المرسى القزاز خليفة خلفاء للسادة خلفاء المقام الأحمدى عن مركز أجا .

٨ — الشيخ حلمى مجاهد السيد بلده نائبا للسادة خلفاء المقام الأحمدى عن مركز أجا .

مولد العارف بالله

أبى علوان الكبير

يحتفل سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية بمولد جده سيدى أبى علوان الكبير ببلبيس ابتداء من يوم الخميس ٢٧ يوليو ١٩٦١ .

ويحتفل بالليلة الختامية وبتسيير الموكب الصوفى الكبير فى مساء يوم الخميس ٣ من أغسطس ١٩٦١ .

ويقام مهرجان صوفى كبير فى الليلة الختامية يتحدث فيه كبار رجال الفكر الصوفى وأئمة الحياة الروحية .

للذكرى وللتاريخ

الأهرام ومولد أبى علوان

نشرت جريدة الأهرام الغراء فى ٩ يونيه الماضى ، تحت عنوان « من خمسين سنة فى مصر » الكلمة التالية .

جاءنا من مكاتبنا فى بلبيس : انتهى مولد الأستاذ الشيخ محمد علوان على صفاء وسلام ، إذ اجتهد خليفة المقام الشيخ محمد الزاهد فى حفظ النظام ، وقد أحيا الليلتين الأخيرتين بترتيل آى القرآن الشريف والقصة النبوية ، إذ كان ينشدها المطرب المعجب الشيخ حموده إبراهيم واجتمع لسماعه الألوف ، وأقيم سرادق فخم اجتمع فيه خلق كثير وتليت القصة بعد الاذكار ، وزفت الزفة المعتادة بأجمل نظام ، ولم يحدث ما يعكر الصفاء :

وتاريخ هذه الكلمة يرجع إلى خمسين سنة ماضية ، إذ سبق للأهرام أن نشرها بتاريخ ٩ يونية عام ١٩١١ .

وفى الكلمة تصوير بديع مشرق لحياتنا الروحية . كما تدل على ماض عريق رائع لمولد القطب أبى علوان الذى كان يحتشد للاحتفال به كما تقول الأهرام الألوف الكثيرة ، والذى كان حفظ الأمن والنظام فيه من مفاخر العصر .

والتاريخ كما يقول رجاله يعيد نفسه ، فلا يزال هذا المولد الكبير تحتشد له الألوف الكثيرة وتمتلأ لياليه بآى الذكر الحكيم والقصة النبوية والاذكار الشرعية ، ولا يزال أيضاً نموذجيا فى نظامه وأمنه وكماله .

مولد العارف بالله « السيد إسماعيل ضيف »

احتفل السيد الأستاذ أحمد محمد ضيف شيخ السادة الضيفية الخلوتيه بأحياء ذكرى مولد جده « السيد إسماعيل ضيف » اعتباراً من ٨ يونية ١٩٦١ وكانت الليلة الختامية مساء الخميس ١٥ منه حيث أقيمت مجالس الاذكار اشترك فيها رجال السادة الضيفية ومريديها وتليت آيات الذكر الحكيم ومدت موائد الطعام .

تعيينات

إعتمدت المشيخة العامة تعيين كل من :

١ — السيد مصطفى سليمان بدر الدين المقيم بمنية السيرج نائباً للطريقة الأحمدية المرازقة بقسم الساحل .

٢ — السيد جمعة على جمعة العجمى نائباً للطريقة الأحمدية المرازقة بنقطة قمن العروس مركز الواسطى .

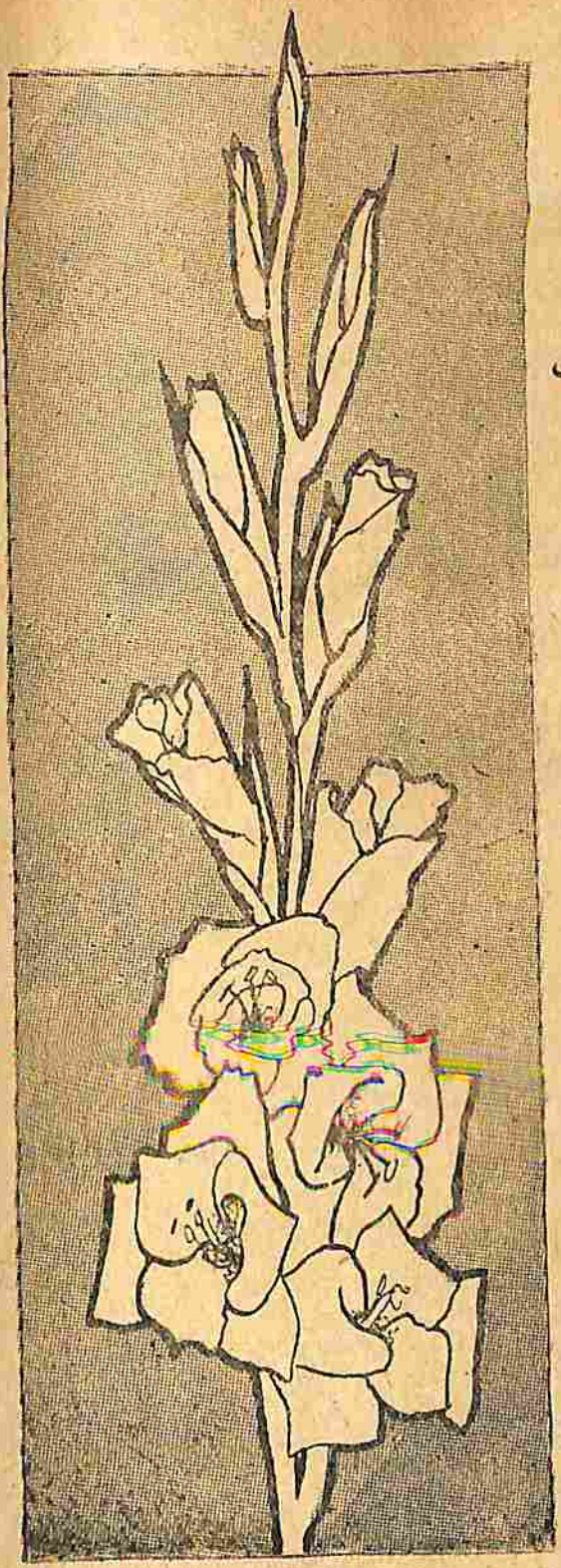

الهيئة العامة لتنمية الصادرات

١٣ شارع سليمان باشا

بصلة جلاديولس

تقوم الهيئة بزراعة حوالى ٧٥٠ ألف بصلة جلاديولس من الأصناف الحديثة الممتازة وسوف توزع أبصالها بعد معاملتها بالفلاجات فى أواخر سبتمبر القادم بأسعار التكلفة والتى ستحدد فيما بعد .

وعلى الراغبين من زراعى الأزهار التقدم بطلباتهم للهيئة مصحوبا بتأمين قدره خمسة جنيهات عن كل ألف بصلة

اقرا فى هذا العدد للأساتذة

الدكتور أحمد غلوش
الدكتور سليمان حزين
الدكتور محمد خلف الله أحمد
الدكتور مصطفى كمال وصفى
الدكتور محمد وصفى
الأستاذ سيد على الطوبجى
الأستاذ محمد محمود بحيح
الأستاذ محمود شلبى

الأستاذ حسنى طه شكيبان
الأستاذ سعيد حمزة مكرم
الأستاذ حامد محمود الزفرى
الأستاذ عبد الحفيظ القرنى
الأستاذ عبد اللطيف محمد القيسى
الأستاذ عبدالموجود عبدالحافظ
سماحة السيد محمد محمود علوان

الأستاذ طه عبد الباقى سرور

مع الأبواب الثابتة : منهج التصوف
أخبار صـــوفية : قصص صوفى

الثمن ٥ قروش

القاهرة : مطابع دار الكتاب العربى بمصر : محمد حلمى المنياوى